الصّراط

الرقم الـ ١١١

جمادي الثانية ١٤٤٥

الزهراء عليها سلام الله

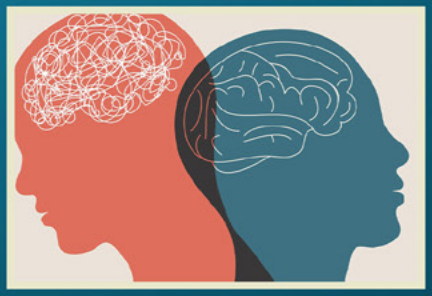

أزمة ومأزق في العلاقات

من هي ستفوز؟ المهدوية أو العولمة

تأسيس المدينة وكمال الإنسان

قالت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام:
«قال لي أبي رسول الله صلى الله عليه وآله: «إياك والبخل؛ فإنّه شجرة في النّار وأغصانها في الدّنيا، فمن تعلّق بغصن من أغصانها أدخله النّار.»

الطبري، «دلائل الإمامة»، ص ٧١، ح ٩.

«شهرية صراط الإلكترونية»
إيران – طهران
ص. ب: ١٤١٥٥-٨٣٤٧
فاكس: +٩٨٢١٦٦٤٥٩٠٢٣

البريد الإلكتروني:
email: mouoodasr@gmail.com

المواقع:
www.mouood.org
https://www. facebook.com/mouood.org

الفهـرس

منوعـــات

أخبار المسلمين في العالم: أحدث الأخبار في العالم الإسلامي / ٤
خليفة اللّه الإنسان الكامل: الانسان، طريق السعادة، مسؤوليات وقيمه / ٦
الشعر والأدب: حُزناً على الزهراء عليها السلام / ١٠
الأسئلة والأجوبة: طاعتنا نظاما للملة وإمامتنا أمانا من الفرقة / ١٢
تقديم الكتاب: تقويم الشيعة / ١٤

الدراسات الثقافية

الغرب وآخرالزمان: أزمة ومأزق في العلاقات الفردية والاجتماعية / ١٦
العالم بين السادة والعبيد - أهم السلالات التي تتحكم وتسيطر على العالم: سلالة أوناسيس اليونانية / ٢١
العولمة والعالمية المهدوية: من هي ستفوز؟ المهدوية أو العولمة / ٢٤
فرسان الهيكل وأسس الماسونية - الفروسية: النظام التأسيسي لفرسان الهيكل / ٢٧
تاريخ الشيعة في البلاد: لبنان - القسم الأوّل / ٢٩
الأسرة المهدوية: المحبة و المودة / ٣٤

الدراسات المهدوية

دعوي السفارة: تنوع الآيات امتحان للبصائري / ٣٦
التعاليم المهدوية: مفهوم الغيبة و اساسها - القسم الثاني / ٣٨
اليوتوبيا والديستوبيا والدولة المهدوية الكريمة: تأسيس المدينة وكمال الإنسان / ٤٤
الامام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف و مستقبل العالم: دولة الخوارق / ٤٧
أسباب الدعاء لإمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف: هدم أبنية الكفر و الشقاق والنفاق / ٥٠

الحيـاة الإيمانيـة

المستبصرون: مونتسدات روفيرا (زينب) / ٥٢
التذكارات الإرشادية: عبادة الرب / ٥٤
الطريق السالمة: باب الصدق في الحياء من اللّه / ٥٥

معرفـــة الإمـــام

الشيعة و الحاكمون: بنو العباس - القسم الثاني / ٥٦
خير البريّة: الساقي على الحوض / ٥٩

كنا نعيش بسلام في فلسطين قبل اختراع الصهيونية

شدد الحاخام الأمريكي **دوفيد فيلدمان**، على أن اليهود كانوا يعيشون بسلام في فلسطين قبل اختراع الصهيونية، مؤكدا أن **اليهودية دين، مجرد دين، ولا تشمل السياسة.**

وقال الحاخام الأرثوذكسي المناهض للاحتلال، على هامش مشاركته في فعالية بعنوان «قمة أوروبا من أجل فلسطين» في إسطنبول، إن العديد من اليهود حول العالم يعارضون الجرائم الإسرائيلية بحق الشعب الفلسطيني، بحسب الأناضول.

وتحدث الحاخام فريدمان المنتمي لحركة «ناطوري كارتا»، وهي حركة يهودية مناهضة للصهيونية، عن الفرق بين اليهودية والصهيونية. وأضاف:

أما الصهيونية، فهي حركة سياسية بحتة متعلقة بالقومية، ولا تمثل الديانة اليهودية، ولسوء الحظ، يعتقد الناس أن هذين الاثنين نفس الشيء، وأن كل اليهود يدعمون إسرائيل، لكن الوضع ليس هكذا.

وشدد فيلدمان، القادم من ولاية «نيويورك الأمريكية»، على أن:

الوجود الفعلي لدولة إسرائيل يتعارض مع العقيدة اليهودية، وبالتالي فهم يعارضون وجود دولة إسرائيل.

لافتا إلى أن هناك مئات الآلاف من اليهود المناهضين للصهيونية في العالم يفكرون مثله.

وذكر أن هناك مجتمعا قويا جدا مناهضا للصهيونية في نيويورك، وقال:

إننا نقول إن كل ما حدث لفلسطين كان خطأ. كل هذه الجرائم والقتل والسرقة والقمع، تم تطبيقها على شعب بأكمله منذ البداية، بحسب الأناضول.

وحول العدوان الوحشي على قطاع غزة ، شدد الحاخام على:

أنها ليست إبادة جماعية نشهدها فقط اليوم، خلال الشهرين الماضيين، فاحتلال فلسطين كان خطأ منذ البداية، وهذا جريمة.

وشدد رجل الدين اليهودي على أن تصرفات دولة الاحتلال تعدّ جرائم، ليس فقط وفقا للقانون الدولي، ولكن أيضا بالنسبة لليهودية، وأضاف أن **التوراة تحرم كل هذه الجرائم.**

وتابع بالقول:

يجب أن ينتهي كل هذا، إذا أوقفنا هذا الاحتلال بشكل كامل، ونأمل أن يكون ذلك سلمياً، ودون السماح لأي شخص بالمعاناة، فسنرى مرة أخرى السلام الذي كان قائماً في الماضي.

ويواصل الاحتلال الاسرائيلي عدوانه الوحشي على قطاع غزة منذ السابع من تشرين الأول/ أكتوبر الماضي، مخلفا مجازر مروعة بحق المدنيين، خصوصا الأطفال والنساء منهم.

وارتفعت حصيلة ضحايا العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة إلى أكثر من ١٨ ألف شهيد، جلهم من النساء والأطفال، فيما بلغ عدد الجرحى حوالي ٥٠ ألف مصاب بجروح مختلفة، بحسب مصادر فلسطينية.

المصدر: شفقنا العربي.

طريق السعادة في حياة الإنسان

جاء في «القرآن الكريم»: «**وَ أْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها**»[١]

إذا كان هذا القانون يبدو لأول وهلة بسيطا؛ فإنه يجب الانتباه إلى أنه أصل وقاعدة كلية. على الإنسان أن يتنبه بأنه ليس فقط للمنزل أو الإدارة باب للدخول. إن الحياة والسعادة مثل المحل بحيث يتوجب على الإنسان بداية أن يتعرف إلى أبوابها بالبصيرة، ثانيا أن يعود نفسه دائما على الدخول إلى الحياة من بابها الحقيقي، ويسلك طريقها المستقيم، ويبحث عن السعادة ويتلمسها. يقول القرآن الكريم:

«**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**»[٢]

مسؤوليات الإنسان وانواعها

مسؤولياتنا الدينية تقسم إلى قسمين:

١. المسؤوليات المفروضة من قبل الشارع الإسلام، والتي حدد الإسلام بشكل خاص جميع خصوصيات أعمالها وأجزائها وشروطها، طبعا هذه المسؤوليات من الأعمال التي تكون نتائجها فرضية، ولسنا نحن مسؤولون عن نتائجها، وهي التي تسمى تعبديات، كالصلاة والصوم. فنحن موظفون بالقيام الصحيح والكامل لمقدماتها، ولا نكون بأي حال مسؤولين عن النتائج. فإذا أدينا مقدماتها بالشكل الصحيح كما فُرضت، وأدينا الأوامر المعينة من قبل الشارع، فإن النتيجة سوف تكون تابعة للمقدمات، ومرتبطة بها بشكل مباشر؛

«**إنَّ الصَّلاةَ تَنهي عَنِ الفَحشاءِ وَ المُنكَرِ...**»[٣]

٢. المسؤوليات التي تحدد نتائجها بأيدينا، يعني أن نتائجها تكون بعهدة الإنسان نفسه ومرتبطة به؛ بحيث يقول: أنا أريد النتيجة الفلانية. أما تلك النتيجة فإنها تختلف باختلاف الوسائل والمقدمات والشرائط، وأي قالب وفي أي مورد وأي زمان، في هكذا أمر يجب التفكير والتحسب لهذا العمل وتهيئة الظروف والوسائل:

«**وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّة...**»[٤]

نضف إلى ذلك، أن شيئا في مكان ما يكون وسيلة للهداية، لكن نفس هذا الشيء في مكان آخر يكون وسيلة للضلال، إن منطق ما يجعل من امرأة عجوز إنسانا مؤمنا، نفس هذا المنطق قد يضل إنسانا متعلما، وأن كتابا في زمان يناسب ذوق ذلك الزمان، ومستوى عصره الفكري قد يكون وسيلة للهداية، لكن نفس ذلك الكتاب قد يكون سببا للضلالة في زمن وعصر آخر، طبعا باستثناء الكتب السماوية.

لكن من المفيد التأكيد على أن وسائل الهداية في أي عصر تخص ذلك العصر، والشاهد على هذا المطلب الآية التالية:

«**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...**»[٥]

إن المقام في هذه الآية مقام الدعوة والتربية، دعوة البشر وتربيتهم؛ لذلك ذكرت كلمة رب يعني طريق تربية البشر، بحيث تكون الدعوة بالحكمة يعني الكلام المتقن، والدليل الواضح، والعلم الصريح، والعقل الخاص، يقول المفسرون إن الدعوة بوسيلة الحكمة والبرهان والدليل العقلي والعلمي إنما تكون المجموعة خاصة ومحددة ممن يملكون الاستعداد لذلك، أما الموعظة الحسنة يعني الموعظة الجيدة والنصيحة المقبولة، فهي لبعض الناس ممن لا يملكون استعداد البيان العقلي والعملي، بحيث إذا ما طرحت عليهم المسائل العلمية فإنهم يضلون، لذلك فإن سبيل هدايتهم إنما يكون عن طريق الموعظة والنصيحة، وذلك بالتمثيل والقصة والحكاية، أو أي شيء يمكنه أن يهديهم ويسكن قلوبهم: «**جَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**»، فإذا كنت في مقابل بعض الأشخاص ممن لا يريدون كشف الحقائق، ولا المعرفة، إنما هدفهم المجادلة والكلام والمماحكة فجادلهم؛ أما على نحو أحسن، جادلهم ولكن لا تخرج بالمجادلة عن طريق الحق والحقيقة : لا تظلم ولا تكذب ولا تصارع الحق.

القيم الإنسانية وما يخالفها

للإنسان في النظرة الإسلامية إلى العالم قصة عجيبة، فالقرآن يمدح الإنسان بأسمى مدح ويذمه بأكبر مذمة، يمدحه ويجعله أرقى من السماء والأرض والملائكة، بحيث يمكنه أن يسخّر العالم لمصلحته، ويجعل الملائكة في خدمته، ويذمّه بحيث يعده أدنى من الشيطان وأحقر من الحيوان، ويجعله أسفل السافلين.

القيم الإنسانية

١. الإنسان خليفة الله في الأرض:

«**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**»[٦]

٢. قابلية العلمية:

إن قابلية الإنسان العلمية هي أكبر قابلية يمكن لأي مخلوق أن يمتلكها، والله تعالى قد علّم آدم جميع الأسماء وأطلعه على كل الحقائق: «**وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها**...»[٧]

٣. فطرة الإنسان على معرفة الله:

فالإنسان يدرك في أعماق وجدانه الذات الإلهية، وكل الأمراض والشكوك والتردد ما هي إلا انحرافات عن طبيعة الإنسان الأصلية.

– «**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**...»[٨]

– «**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ**»[٩]

٤. خلقة الإنسان:

ان الخليقة الإنسانية مركبة من الطبيعة وما وراء الطبيعة، من المادة والمعنى، من الجسم والروح.

«**الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِنْ طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ۞ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ**...»[١٠]

٥. الهدف من خلق الإنسان:

إن خلق الإنسان ليس صدفة ولا عبثا، بل بحساب وتقدير. فالإنسان موجود اجتباه الله. «**ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ**...»[١١]

٦. اختيار الإنسان:

الإنسان يملك شخصية مستقلة وحرة ومستودع أمانة الله، وعنده مسؤولية ورسالة، ويمكنه أن يكون سعيدة أو شقية باختياره؛

– «**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ**...»[١٢]

– «**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا**»[١٣]

٧. مخلوق مكرم

الإنسان يتمتع بالكرامة والشرف، فهو مخلوق مكرم ذاتيا، وعندما يدرك ذاته الواقعية وشخصيته الحقيقية يدرك مدى الكرامة التي يتمتع بها، ويعلم أنه أرقى من كل الوضاعة والانحطاط، وأسمى من أن يتبع الشهوات أو يكون أسيرها:

«وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا»[١٤]

٨. وجدانه الأخلاقي:

الإنسان يتمتع بالوجدان الأخلاقي، وهو يدرك الحسن والقبح بحكم الإلهام الفطري؛

«وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا»[١٥]

٩. الإنسان لا يطمئن ولا يهدأ إلا بذكر الله، وهو دائما اللانهائية الإلهية.

– «يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ»[١٦]

– «أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ»[١٧]

١٠. الأرض إنما خُلقت لأجل الإنسان.

– «هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا»[١٨]

– «وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا»[١٩]

– «أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ...»[٢٠]

١١. خُلق الإنسان لأجل عبادته إذن تكليف الإنسان هو طاعة أوامر الله.

«وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ»[٢١]

١٢. لا يجد الإنسان ذاته إلا بالعبادة، فإذا نسي الله أنساه نفسه، ولم يدر من هو ولأجل ماذا وجد، وماذا يجب أن يفعل وأين يذهب؟

«وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ»[٢٢]

١٣. بالذهاب من الدنيا يرفع غطاء حجاب البدن، وتنجلي أمامه الحقائق.

«... فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ»[٢٣]

١٤. الإنسان لا يعمل فقط لأجل المسائل المادية، وليست المادة فقط تحركه، إنه يملك أهدافا وشعارات سامية، وليس من شيء مطلوب سوى رضى الخالق.

– «يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً»[٢٤]

– «... وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ»[٢٥]

ما يخالف القيم الإنسانية

١. «... إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا»[٢٦]

٢. «... إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ»[٢٧]

٣. «إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ»[٢٨]

٤. «... وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا»[٢٩]

٥. «... وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا»[٣٠]

٦. «... وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا»[٣١]

٧. «إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا»[٣٢]

الإنسان موجود بفطرة واحدة، وطبيعة واحدة لا بطبيعتين، والمدح والذم ليسا علامة طبيعية، بل إن نظرة القرآن هي أن الإنسان يملك الكمالات بالقوة، وعليه أن يوجدها بالفعل، فالإنسان يصنع ذاته بذاته، يمكن القول إن القيم الإنسانية تتلخص تحت عنوان واحد، وهو ما جاء في مصطلح العرفاء والعلماء، وحتى العلماء الجدد وفي المتون والكتب الإسلامية، بحيث يمكن القول أن معيار الإنسانية الأصلي ذلك الشيء الذي يعبر عنه «بالألم»، إن الفرق بين الإنسان والحيوان هو أن الإنسان يتألم، الإنسان صاحب ألم، يجب على الإنسان أن يجد الألم ويزيله، والألم بالنسبة للإنسان نعمة، فهو يجلب اليقظة والمعرفة، مثله كمثل علامات السرعة ودرجة حرارة الماء، لو لم يكن في جسم الإنسان ورأسه ألم لما أدرك وفهم، ولما بحث عن العلاج، إذن الألم نعمة، الألم إحساس وإدراك ويقظة، وكلما كان الإنسان أكثر تألما في العالم كان أكثر إدراكا، والإنسان يكون مدركا ويقظا أكثر من الآخرين بنسبة ما يحمل بين جنباته من ألم، إن انعدام الألم يعني انعدام الإحساس والشعور والإدراك. يقول العرفاء إن الإنسان إنما فضّل على الملائكة بدليل أن الملاك من غير ألم، أما الإنسان فهو يملك ألم البحث عن الله.

الإنسان هو الحقيقة التي جاءت من النعمة الإلهية جاء من دنيا أخرى، فهو لا يملك تجانسا كاملا مع الأشياء الموجودة في الطبيعة، ويشعر بنوع من الغربة مع موجودات العالم هذه، فكل شيء متغير وفان وغير قابل لنسج العلاقة والمحبة، أما الإنسان فيتنازعه حب الخلود، وتدغدغه مشاعر البقاء، ذلك هو الألم الذي يشد الإنسان إلى عبادة الله، وإلى التضرع والتقرب والرجوع إلى أصله.

ما دام الإنسان لم يصل إلى ذات الحق فهو في اضطراب، ولا يقر له قرار، جاء في القرآن: «أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ»

فالإنسان عندما يتألم ويخالطه ذاك الشعور بالحزن والأسى، عندما يتألم الآخرون أو يشعرون بالحزن أو الجوع أو أي مصيبة تصيبهم. إن ذلك بالنسبة إليه مؤلم وموجع، ويحرك فيه الشعور والإحساس مع الآخرين فيما يتألمون، ويعتبر نفسه مسؤولا تجاههم وهذا بحد ذاته ذو قيمة كبيرة، الإنسان المصاب يشعر مع الآخرين في مصابهم، بينما كيف يتألم مع الآخرين من لا يعرف الألم؟

بعض المدارس تعتبر أن ألم الإنسان إنما يكون من أجل الخلق، أي للإنسان وليس لله، فإذا لم يسافر الإنسان نحو الله فإن ألمه لن يصل إلى مكان.

الهوامش:

١. سورة البقرة، الآية ١٨٩.
٢. سورة النحل، الآية ٩٧.
٣. سورة العنكبوت، الآية ٤٥.
٤. سورة الأنفال، الآية ٦٠.
٥. سورة النحل، الآية ١٢٥.
٦. سورة البقرة، الآية ٣٠.
٧. سورة البقرة، الآيات ٣١-٣٣.
٨. سورة الروم، الآية ٣٠.
٩. سورة الأعراف، الآية ١٧٢.
١٠. سورة السجدة، الآيات ٧-٩.
١١. سورة طه، الآية ١٢٢.
١٢. سورة الأحزاب، الآية ٧٢.
١٣. سورة الإنسان، الآية ٣.
١٤. سورة الإسراء، الآية ٧٠.
١٥. سورة الشمس، الآيتان ٧ و٨.
١٦. سورة الانشقاق، الآية ٦.
١٧. سورة الرعد، الآية ٢٨.
١٨. سورة البقرة، الآية ٢٩.
١٩. سورة الجاثية، الآية ١٣.
٢٠. سورة لقمان، الآية ٢٠.
٢١. سورة الذاريات، الآية ٥٦.
٢٢. سورة الحشر، الآية ١٩.
٢٣. سورة ق، الآية ٢٢.
٢٤. سورة الفجر، الآيتان ٢٧ و٢٨.
٢٥. سورة التوبة، الآية ٧٢.
٢٦. سورة الأحزاب، الآية ٧٢.
٢٧. سورة الحج، الآية ٦٦.
٢٨. سورة العلق، الآيتان ٦ و٧.
٢٩. سورة الإسراء، الآية ١١.
٣٠. سورة الإسراء، الآية ١٠٠.
٣١. سورة الكهف، الآية ٥٤.
٣٢. سورة المعارج، الآيتان ٢٠ و٢١.

المصدر: مهدي حشمتي، «خليفة الله الانسان الكامل مآثر الشيخ مرتضى مطهري»، دارالصفوة، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤٣٠هـ.

قصيدة في ذكرى استشهاد سيدة نساء العالمين الصِدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول الله محمد صلى الله عليه وآله بقلم **حميد حلمي زادة** و بعنوان «حُزناً على الزهراء عليها السلام»:

دَعْ عنكَ نائبةَ الحياةْ
واحزنْ لخيرِ السيّداتْ
زهراءُ طه المصطفى
أُمُّ الطهارةِ والتُّقاةْ
واذرُفْ عليها أدمُعاً
ألماً على هَضْمٍ أمَاتْ
فهي الشُّجُونُ ظُلامةً
ولفقدِها جَزَعَ الكُماةْ
فلها تُراثُ محمدٍ
وبِمُوتِها سَبُعَ الجُفاةْ
وهي المُعينُ بقوةٍ
أفرَتْ بها أنفَ الطغاةْ
وهي البيانُ بخُطبةٍ
أفنَتْ بِكُلِّ المَسألاتْ
فيها أطاعتْ حيدراً
زينَ الوِلايَةِ والصفاتْ
وبِها أقامَتْ حُجةً
أنَّ الوصيَّ هو النجاةْ
لكنَّ أشياخَ الخديعَةِ
أهْمَلُوا خيرُ الثُقاةْ
وتلاقفُوها لُعبَةً
وكأنَّ أصْلَ الدِّينِ ماتْ
بل داهَمُوا بيتَ النبوّةِ
لمْ يبَرُّوا التّوصياتْ
بالنارِ باباً أحرقُوا
بالدَعِّ جازُوا المَحْرَماتْ
بالسَّوطِ أدمَوا وَجْهَها
شُلَّتْ أيادي العادِياتْ
فَكأنَّهم لم يُؤمنوا
ابداً ولمْ تُفِدِ الصلاةْ
زادَ الصُراخُ بِبابِ
احمدَ واستخفُّوا بالصِّلاتْ
إذْ ذاكَ أثلِجَ صدرُ
إبليسٍ فحيَّا المُوبِقاتْ
واشارَ مبتهجا برمْزِ
النَّصرِ يومَ المنكَراتْ
وتفاخَرَ الجُهلاءُ إذْ
نَحَّوا أُولِي البيتِ الهُداةْ
ماتتْ بحَسرتِها الحبيبةُ
بنتُ أحمدَ والزّكاةْ
وتَمَلَّكَ الطُّلقاءُ
أحكامَ الشريعةِ والحياةْ
نَحَروا العِبادَ بِقَسوةٍ
ساقُوا الى الدنيا المماتْ
لا ليسَ دينُ محمدٍ
هذا فَحامُوا يا أُباةْ
لمّا يَسُدْ بيتُ الهدى
بلْ صادَرُوها قومُ «لاتْ»
سَقْياً لقبرٍ غائبٍ
رَسْماً ويطلُبُهُ الجُناةْ
ماذا أبَعْدَ وَفاتِها
كمَدَاً يُريدونَ الرُّفَاتْ؟!
تَحيا عقيدةُ أحمدٍ
إنّ العقيدةَ في ثبَاتْ
مادامَ آلُ محمدٍ
درعاً لها فهُمُ السُّرَاةْ

طاعتنا نظاما للملة وإمامتنا أمانا من الفرقة

السؤال:

قالت السيدة الزهراء عليها السلام في الخطبة الفدكية: «**طاعتنا نظاماً للملة و إمامتنا أمانا من الفرقة.**»

كيف نثبت هذا الأمر؟ أو كيف يمكن طرحها على الآخرين؟ أي كيف تكون قيادة الأئمة عليهم السلام مؤدية إلى نظم الدين و مانعة من التفرقة؟

الجواب:

قبل الدخول في الجواب، لا بد من التذكير بأن موضوع السؤال ينطلق من عبارتين من الخطبة المعروفة بالخطبة الفدكية للسيدة الزهراء عليها السلام بنت النبي الأكرم محمد صلى الله عليه و آله و هذه الخطبة ألقتها عندما وصل إليها خبر تصميم الخليفة الأول على إسترجاع فدك منها.[1] و هذه الخطبة مروية في المصادر الروائية و التاريخية للشيعة و السنّة و بأسناد متعددة و لكن بقليل من الإختلاف في النص.[2]

فالسيدة الزهراء عليها السلام في هذه الخطبة و بعد الحمد و الثناء و بيان النعم الإلهية تعرضت لفلسفة الخلق و كذلك فلسفة الأحكام الشرعية الإلهية حيث قالت:

١. «و طاعتنا نظاماً للملة»[3]

فهذه الجملة و الجملة التي بعدها عطف على عبارة «**فجعل الله الإيمان...**» التي وردت في هذه الخطبة. فيكون المعنى أن الله سبحانه و تعالى جعل طاعتنا سبباً للنظم في الدين الإسلامي.

و من الواضح الذي لا غبار عليه أن طاعة أهل البيت عليهم السلام سبب لنظم الدين، و ذلك لأن هذه الطاعة تجمع كل أفرادها حول محور الدين و هذا المحور يبينه الإمام الذي هو الأعلم و الأتقى و الجامع لكل الكمالات. و لاريب أهل البيت عليهم السلام هم أكثر الناس علما بحقائق القرآن و أكثرهم إطلاعاً بها، لأن علمهم متصل بمبدأ الوحي فمن الطبيعي يحصل الإنسجام و التوحيد في المسائل الدينية بحكم طاعتهم.

٢. «و إمامتنا أماناً من الفرقة (للفرقة)»

فقد طرحت السيدة الزهراء عليها السلام هنا مسألة الإمامة و تعني بذلك تنبيه الخليفة و الناس بأن الإمامة و خلافة النبي محمد صلى الله عليه و آله هي من شؤونهم، و قد أعطاها الله سبحانه لهم للحد من فرقة الناس و لجمعهم حول محور واحد. و بتعبير آخر، إن الله جعل الإمامة، لكي لا تفترق الأمة الإسلامية و لكي لا يذهب كل إلى جهة، و جعلها محوراً يقرّه العقل. فلو كان لشخص الرجحان على باقي البشر في كل النواحي، العلمية و التقوائية و في التدبير و العدالة و في إرتباطه بالله سبحانه و غير ذلك، فمن الطبيعي يتحتم على الجميع الإلتفاف حوله، عندها لا تحصل أي فرقة و لا تشتت. و هذا الكلام مستلهم من حديث الثقلين[4] و قد ذكرته السيدة الزهراء عليها السلام في خطبتها الفدكية. فعندما يقول النبي صلى الله عليه و آله، إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً.

فهاتان العبارتان في الحقيقة بيان لمضمون واحد و هو أن نظام الدين الإسلامي و بقاءه و صيانته من التفرقة و التشتت، لا يكون إلا في ظل قيادة أهل البيت عليهم السلام. و مما يجدر قوله إن بعض المحققين[5] فسّر «الملة» هنا «بالأمة» و لا منافاة بين هذا المعنى و المعنى الذي بيّناه.

و من البديهي أن لكل مجتمع قطب فكر لنظامه و بقائه، و لا يكون هذا القطب إلا على رأس الهرم ليمكنه جذب كل الأفكار و الآراء إليه و ليملأ و يسدّ الفراغ الموجود من هذه الناحية، و عندها لا تبقى أرضية لأي إختلاف.

إن الشريعة الإسلامية و المجتمع الإسلامي أيضاً يتطلبان إتباع أهل البيت عليهم السلام و طاعتهم لحفظهما من كل إختلاف و تفرقة في جميع الأبعاد، لأنهم و باتصالهم بالمصدر الحيوي و بعالم الغيب، يؤمّنون الرشد الفكري للبشرية في جميع الجهات، بدءاً من الإقتصاد و مرورا بالحقوق – و الأحكام و إنتهاء بالسياسة و نظم الأمر.

الهوامش:

١. إبن أبي طاهر، أحمد، «بلاغات النساء»، الشريف الرضي، قم، الطبعة الأولى، الطبري، صص ٢٣-٣١؛ الآملي لصغير، محمد بن جرير بن رستم، «دلائل الإمامة»، البعثة، قم، الطبعة الأولى، ١٤١هـ.، صص ١٠٩-١٢٥؛ العروسي الحويزي، عبد علي بن جمعة، «تفسير نور الثقلين»، تحقيق: الرسولي المحلاتي، سيد هاشم، إسماعيليان، قم، الطبعة الرابعة، ١٤١٥هـ.، ج ١، ص ٤٥٠.

٢. الجواهري البصري، احمد بن عبد العزيز، «السقيفة و فدك»، المحقق و المصحح: الأميني، محمد هادي، مكتبة نينوى الحديثة، طهران، صص ١٣٧-١٤٥؛ الطبرسي، احمد بن علي، «الإحتجاج»، المحقق و المصحح: الخرسان، محمد باقر، نشر المرتضى، المشهد المقدس، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.، ج ١، صص ٩٧-١٠٨؛ «بلاغات النساء»، صص ٢٦-٣١؛ إبن حاتم، الشاملي، جمال الدين يوسف، «الدر النظيم في مناقب الأئمة اللهاميم»، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.، صص ٤٦٥-٤٧٨.

٣. «السقيفة و فدك»، ص ١٣٩؛ «الإحتجاج»، ج ١، ص ٩٩.

٤. «دلائل الإعتقاد بالإمامة و الأئمة»، ١٣٦٢؛ «الصحيح البخاري» و حديث الثقلين، ١١٠٩٧.

٥. الحسيني الزنجاني، سيد عز الدين، «شرح خطبة السيدة الزهراء عليها السلام»، بستان الكتاب، قم، الطبعة العاشرة، ١٣٨٧ش.، ص ٣٦٥.

المصدر: إسلام كوئست.نت

تقويم الشيعة

لكل مذهب من مذاهب المسلمين مبانيه وخصوصياته، وكذا تأريخه المتعلقة به في مجال العلم والعلماء، والأصول والرجال، وقد دونت المذاهب كلها ما ورثته، حتى أدرجت رواتها ورجالها على طبقات، وعقائدها وفقهها في مصنفات ومؤلفات.

وفي هذا الضمن يحق للشيعة – وهم شيعة علي باب مدينة علم رسول الله ﷺ، وشيعة أهل البيت عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، يحق لهم، بل وأولى لهم أن يدونوا موروثاتهم العقائدية العالية، وهي عن أئمة الهدى والحق وموروثاتهم الفقهية، وهي خارجة من بيت الوحي والرسالة، وتأريخهم المشرفة، وهي صفحات خالدة من حياة النبي وآله عليهم السلام، بجميع مناسباتها الرسالية: العلمية والمنقبية، والمفرحة والحزينة، المتعلقة بأهل البيت النبوي وبشيعتهم.. لتنتقل إلى الأجيال أشعة نيرة هادية إلى الحق والفضيلة، وصورا حجة على العالمين، تحكي أفضلية أهل هذا البيت ومظلوميتهم في الوقت ذاته. وقد أذعن التاريخ أنهم أعلم الخلق، وأنهم قضوا حياتهم في إبعاد وحجر وتضييق وحبوس، ولم تنته إلا بالقتل، وبذاك أخبر المصطفى ﷺ حينما قال: «**ما منا إلا مقتول أو مسموم**»!

وكان عملا موفقا وغيورا أن تدرج تلك التآريخ، فيكتب: **الشيخ المفيد** «مسار الشيعة في مختصر تواريخ الشريعة»، و**ابن أبي الثلج البغدادي** «تاريخ الأئمة عليهم السلام»، و**الشيخ الطبرسي** «تاج المواليد»، و**العلامة الحلي** «المستجاد من كتاب الإرشاد»، و**الشيخ البهائي** «توضيح المقاصد»، والدكتورة **سميرة مختار الليثي** «جهاد الشيعة في العصر العباسي»، والشيخ **محمد جواد مغنية** «الشيعة والحاكمون»، و**السيد هاشم الحسني** «الانتفاضات الشيعية عبر التاريخ».. فتلك تآريخ لابد أن تكتب، لا سيما وقد كتب معظم التاريخ أقلام السلطات الظالمة، فشوهوا الحقائق وأخفوا كثيرا منها، بعد أن لم يكتفوا بقتل أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، وحبس الكثير منهم ومطاردتهم واضطهادهم.

من مقدمة المؤلف

ابتدأها بقول الإمام الصادق عليه السلام: «**شيعتنا جزء منا، خلقوا من فضل طينتنا، يسوؤهم ما يسوؤنا، ويسرهم ما يسرنا.**» ثم قال: تعد أعمارنا – نحن الشيعة – بالساعات التي نكون فيها بذكر أهل البيت عليهم السلام، ولكي نجعل سنيننا وأشهرنا وأيامنا ذات قيمة حقيقية علينا أن نجعل لحظاتها مشرقة ببهاء الأسماء المقدسة لمحمد وعلي وفاطمة وأبنائهما المعصومين عليهم السلام، وأن نعد الساعات التي زكيناها بذكر الحسين عليه السلام والتي قضيناها بذكر الإمام المهدي عجل الله فرجه.

وفي اعتقادنا أن ليس الإيمان إلا الحب والبغض، وهذا الحب لا

يدع الأيام الحلوة والمرة تزول عن الذاكرة ما دامت مرتبطة تلك الأيام بولاية أهل البيت عليهم السلام، ففي مولد رسول الله ﷺ نبتسم ابتسامة تبعث فينا الحياة، وفي شهادته المؤلمة نجدد الحزن، وقد اقترنت شهادته بمظلومية علي وفاطمة عليهما السلام. وفي مولد أمير المؤمنين علي عليه السلام نهب لاستقباله في الكعبة المقدسة محفوفا بسكان الجنان، وفي شهادته نستشعر بتمام وجودنا كل ما جرى عليه من الظلم. وفي مولد الزهراء البتول عليها السلام تتفتح أرواحنا ابتهاجا، وترتسم البسمة على شفاهنا فرحا مقترنة بابتسامة رسول الله ﷺ وأم المؤمنين خديجة الكبرى عليها السلام، وفي أيام شهادتها المفجعة يكون منا الحزن العميق. ونطير ابتهاجا بإشراقة الحسن المجتبى وليدا طاهرا، ونبكيه مفجوعين وقد رحل مظلوما شهيدا. وفي الغدير نبلغ أوج السرور، ونحتفل بأسمى عيد إلهي، فهو ذكرى إكمال الدين وإتمام النعمة.. وفي عاشوراء نمر بأفدح فاجعة وأمر غصة، فنذرف فيها الدموع السجام، ونغرق حزنا في هول تلك المأساة.. ويحضر الشيعة في ذكرى الأربعين، يندبون الحسين عليه السلام مع زينب العقيلة عليها السلام، ويسكبون العبرات مع سكينة والرباب وليلى..

وفي ختام مقدمته، وتحت عنوان فرعي هو «هذا الكتاب» قال المؤلف النيشابوري، وهو يعرض منهجه في إعداد كتابه على النحو التالي:

١. تقسيمه على اثني عشر فصلا على أساس الأشهر القمرية الاثني عشر، وجعل أيام كل شهر عناوين أصلية لكل فصل، ومنح الحوادث أرقاما وعناوين فرعية؛

٢. في خاتمة كل فصل نذكر الحوادث التي وقعت في ذلك الشهر ولم يتعين يوم حدوثها على وجه الدقة والتحديد؛

٣. توجد في أغلب مناسبات الولادات والشهادات أقوال نادرة أو غير مشهورة، ونحن بعد اختيار القول الأقوى والأشهر نذكر بقية الأقوال في آخر المناسبة، وفي بعض الموارد – مثل شهادة الزهراء عليها السلام الواردة في عدة أيام – ذكرناها جميعا.

٤. الوقائع المذكورة في هذا الكتاب هي: من مولد الرسول ﷺ إلى بداية الغيبة الكبرى للإمام المهدي عجل الله فرجه.

٥. لم نذكر كثيرا من الوقائع التاريخية؛ لعدم ارتباطها بالأئمة عليهم السلام.

٦. فصلنا طائفة من الموارد؛ لأهميتها، تفصيلا وافيا.

٧. ذكرنا في بداية كل فصل خلاصة لوقائع ذلك الشهر.

المصدر: شبكة الامام الرضا عليه السلام؛ http://www.imamreza.net

أزمة ومأزق في العلاقات الفردية والاجتماعية

إن الأزمة هي بلاشك حصيلة تزاحم القوى والوصول إلى مازق وما ينتج من ذلك من ارتباك واضطراب وانفعال.

وفي التاريخ الغربي، فإن الإعراض عن السماء وشمس الحقيقة – حيث يعتبر الشرق نفسه داعيا لها ويرى أن الديانات السماوية تذكر الإنسان بها — والخروج عن جادة الاعتدال أدى إلى السير على طريق الإفراط والتفريط وتحول الاستبداد ومحورية الذات إلى نهج عام، وما يتبعه من اندلا ع أزمة ومأزق وتزاحم.

ومنذ بدء الخليقة وفي كل حقبة من الحياة، وفي الظروف المختلفة، أمسكت الأزمة بتلابيب البشرية وجعلت التقلبات في العلاقات والتعامل، مختلف الشعوب والقوميات تواجه أزمات وتوترات على امتداد حياتها. إلا أن تكدس الأزمات وتعدد أوجهها في فترة زمنية معينة (نهاية التاريخ الغربي) يذكرنا بالاندلا ع التام للأزمة والمأزق في العصر الحاضر.

وقبل أن يصاب الإنسان بالتاريخ الغربي وثقافته وحضارته، فإن وساوس الشيطان واتباع الهواجس النفسانية وارتكاب الذنوب والمعاصي، جعله يغفل عن غيب العالم وعوالم الغيب وتداعيات الموبقات، لكن الإثم والعصيان وقبل انبثاق التاريخ الغربي، لم يتحولا إلى تيار عام وشامل وعهد جماعي وإن تكريم هذا العهد [الغربي] لم يكن يتطلب إنكار ربوبية الخالق.

ودفع التاريخ الجديد، الإنسان في ظل إنكار ربوبية الحق، إلى جعل النفس الأمارة الفردية والجماعية، قطبا ومعيارا وساحة لجميع المعطيات والانطباعات وقياس الاعمال وكذلك مصدرا ومرجعا لصدور الأحكام في تنظيم العلاقات والتعاملات المعرفية. وتسببت محورية الذات والدنيوية في ظهور الانبهار.

ففي المراحل والمراتب الأولى للإعراض عن السماء والغفلة عن سر الكون والحقيقة القدسية، صب الإنسان جل اهتمامه على قضايا كان يظن أن بمقدوره معالجتها بمدد العلوم التجريبية والتكنولوجيا والاستيلاء والعبث بلا حدود بالطبيعة، لكن هذا الاستيلاء من دون وازع ورادع في الكون والذي حدث في ظل رؤية تضفي الموضوعانية على مجمل الخليقة وتصرح له بالاستيلاء والتغيير التام، حولت الإنسان إلى طاغ ومصاب بمحورية الذات من العيار الثقيل، ومن هنا برزت ارهاصات الأزمة.

إن ما يجب التذكير به هو ان الغرب ليس مفهوما جغرافيا ولا حتى جبهة سياسية. وخلال الأعوام المائتين الأخيرة وحتى هذا اليوم، فإن عموم سكان الشرق ممن ينظرون بولع وتشوق إلى التقدم والتطور والحضارة الغربية، بذلوا كل ما لديهم للحاق بركب قافلة الحضارة متجاهلين تاريخ الغرب والحداثة، لكنهم لم يصلوا أبدا إلى ما كانوا يرومون ظنا منهم أن من السهولة بمكان الوصول إليه. ولذلك فإن حياتهم أصبحت خلال القرن أو القرنين الأخيرة مليئة بالأزمات والاضطرابات.

إن الغرب ومنذ أن وجد، فتح عالما أمام الإنسان كان فيه الإنسان يظن أن بوسعه بناء جنة هذا العالم بالاستغناء على السماء وأي انتساب ديني. إن الإنسان الغربي ألقى في الحقيقة نظرة جديدة على ذاته والعالم ووجد إمكانية خاصة لديه ظنا منه أنه قادر من خلال التخلي عن أي قوة ماوراء القوة البشرية وأي مرجع سواه، على السير في العالم الجديد بهدف التصرف في العالم والامساك بزمام السلطة. وهذا ما حدث للإنسان الغربي بالذات. فكرة لم تكن مسبوقة قبل هذا التاريخ. ومع انطلاقة هذا التاريخ تغيرت في الحقيقة نسبة الإنسان مع كل شئ بما في ذلك الكون والدين.

وحسبما يقول أحد المفكرين:

لقد تم تفسير الدين في الحداثة. إن مؤسسي المجتمع الجديد والمتجدد في عصر النهضة قد غضوا الطرف عن الدين في تصميم العالم الجديد على الرغم من أنهم كانوا يحملون معتقدات دينية وحتى يؤمنون ويحرصون على الدين.[١]

إن الغرب والحداثة، أرسيا على قاعدة أن البشرية لا حاجة لها لأي مرجع سوى فهمها وانطباعها في تثبيت السلطة والاستيلاء على الطبيعة وأن عليها الإعراض عن التقليد الذي كان يسود فكر الناس وعملهم.[٢]

وقد يكون هناك في الشرق بعد مضي أربعمائة عام وعندما يكون أساس التاريخ الغربي قد خضع للاستفسار والمساءلة وألقيت بظلال من الشك عليه، من انتبهوا إلى أن الحداثة هي مذهب وضع النهج الذي يحتاج إليه أنصارها وألزمتهم بالتقيد بجميع حدوده المعلنة.

إن حراس وحماة هذا المذهب يوفقون ديانة كل منتم جديد معهم. إن طلاب الحداثة يظنون أن بامكانهم من خلال إنكار كل أحكام وشريعة الحداثة وكل ما تقوم على أساسه الحداثة، الاستيلاء عليها والتمتع بثمراتها ونتائجها وفي الوقت ذاته الحفاظ على مبادئ وأسس شريعتهم، في حين أن نظام عالم التجدد والحداثة قائم على فكر غير ديني وأن نظرة الإنسان الحديثة إلى الكائنات هي نظرة غير دينية تم في بعض منها الاحتفاظ بالمعتقدات الدينية.[٣]

إن ساكن المدينة الغربية تعلم بأن حفظ دوام وقوام هذه المدينة قائم على أساس القوانين البشرية، من دون أن يكون للدين دور في معالجة الأمور والعلاقات. وتم في الحقيقة التسليم لهذا الأمر بأن لا مكان للتعلق بالأمر القدسي في الغرب والحداثة.

وقد ألف العديد من المفكرين المسلمين في القرون الماضية، كتبا كثيرة حول العلم الحديث وإن معظم هؤلاء ورغم معارضتهم للقيم الثقافية والدينية والاجتماعية للغرب، أشادوا بالمطلق تقريبا بالعلم الغربي واعتبروه ظنا منهم متشابها ومتساويا مع العلم الذي انتجته الحضارة الإسلامية. إن العديد من هؤلاء زعموا في الحقيقة بأن العلم الحديث ما هو إلا امتداد للعلوم الإسلامية والوجه المنتشر لها في العالم الغربي.

ولا شك بأن تحقق العلم الحديث بالطريقة التي حدثت في عصر النهضة لاسيما في الفترة من القرن الحادي عشر وحتى السابع عشر للميلاد، لم يكن ممكنا من دون وجود النصوص التي ترجمت في القرون الماضية من اللغة العربية إلى اللاتينية وبشكل رئيسي في «اسبانيا» وأحيانا في «صقلية» وسائر أرجاء «إيطاليا».

إن علوم الطب والرياضيات وعلم النور في الغرب لم يكن لها أن تنشأ وتنمو كما نشأت ونمت في الوقت الحاضر من دون طب **ابن سينا** أو رياضيات **عمر الخيام** أو علم النور لـ**ابن هيثم**؛ وذلك على الرغم من القطيعة العميقة بين العلم الغربي والعلوم الإنسانية. وهذه العلوم تضرب بجذورها في معرفة مبنية على وحدانية الله أو التوحيد ونظرة تسودها حكمة الله وكل شئ مرتبط بالآخر وتعكس وحدة الله في عالم الكون، لكن العلم الغربي على العكس، مبني على فكرة أن العالم الطبيعي حقيقة منفصلة عن الله أو المراتب العليا. وفي أفضل الحالات، فإن الله تعالى بوصفه خالق العالم، تقبل كبناء، بناء بيت وأن هذا البيت أصبح الآن مستقلا عنه. إن النظرة العالمية للعلم الحديث، ترفض فكرة تدخل الله في إدارة العالم ومراقبته والإشراف عليه بشكل مستمر.

وثمة فوارق عميقة بين النظرة العالمية للعلم الغربي والنظرة العالمية للعلوم الإسلامية، لذلك اعتبار أن العلم الغربي هو امتداد بحت للعلوم الإسلامية يعكس عدم الفهم الكامل لمبادئ معرفة هذين العلمين وعلاقة كل منهما بعالم الإيمان والوحي. إن انطباعا خاطئا كهذا يعكس في الوقت ذاته عدم المعرفة الصحيحة لأرضيات ما بعد الطبيعة والفلسفية لهذين العلمين.

إن العلوم الإسلامية تربط دائما المراتب الدنيا للوجود بالمراتب العليا له، وتعتبر العالم المادي بأنه أدنى مرتبة في واقع الكون ذي المراتب والذي يعكس حكمة الله، في حين أن العلم الحديث، يعتبر العالم المادي حقيقة مستقلة يمكن دراستها وفهمها بشكل قطعي وجازم، من دون أي إرجاع وإسناد إلى مرتبة أعلى وأسمى للواقع.

إن العلم الحديث، أبصر النور خلال الثورة العلمية في الفترة الواقعة ما بين القرن الحادي عشر والقرن السابع عشر للميلاد تزامنا مع تمرد الفسفة على الوحي والنظرة العالمية الدينية.[٤]

ومن الناحية الفلسفية، فإن الحداثة[٥] تدلل على نظرة عالمية خاصة توفرت أرضياتها في الفترة ما بين القرن الرابع عشر حتى القرن السابع عشر وخلال حركة النهضة[٦] وحركة المذهب الإنساني ونهضة الإصلاح الديني[٧] في القرن السادس عشر، واكتملت في عصر التنوير بالقرن الثامن عشر للميلاد واستمرت مكاسبها في الميادين الثقافية والمادية المختلفة حتى العصر الحاضر.

ويعتبر **رينية ديكارت** أول فيلسوف للحداثة وفي الحقيقة أول من بشر بها، إلا أنه لا يمكن إنكارالدور البارز **لإمانويل كانت** (١٧٢٤-١٨٠٤م.) في تأسيس الحداثة.

وقد أوجدت الفلسفة الحديثة، انطباعا جديدا عن الإنسان والعالم والمنشأ وخالق الكون والدين لم يكن مسبوقا وذلك بسبب سيادة الرؤية الدينية.

ويجب البحث عن مفردتي الحداثة والعصرية في الأعمال الأدبية لعصر التنوير وأعمال كتاب بريطانيين وألمان عاشوا في القرن الثامن عشر للميلاد.

ومن وجهة نظر أصحاب الحداثة والعصرية، فإن الإنسان هو محور ومدار العالم وتشريعاته ومقصوده ومقصده ونيل الجنة على الأرض والمدينة التي يحكمها العلم فحسب.

إن جوهر ثورة الحداثة والعصرية يتمثل في إزالة القدسية عن العالم وإنكار الأمر القدسي وإحلال العقل المنفصل عن الوحي الآدمي لتدبر الشؤون الكلية والجزئية للحياة على امتداد الأرض.

وحتى قبل عصر الحداثة، لم تكن حدود ومنطقة القيم الثقافية مثل العلم والأخلاق والمعنوية والدين والفن منفصلة عن إحداها الأخرى. وكانت هذه المجالات مدمجة مع أحدها الآخر وكانت موحدة بشكل مذهل، بحيث أن مجالا كان يستولي على سائر المجالات ويوفر إمكانية تفتتها وانهيارها.

وبناء على هذا الترابط والتواصل الوثيقين، فإن الدولة والدين لم يكونا منفصلين عن أحدهما الآخر.

إن الفصل بين الدين والعلم، مهد لنشأة العلوم التجريبية ومن هنا بدأت الكارثة. إن انهيار وارتباك منطقة الدين والعلم تسبب في هيمنة العلوم التجريبية الهشة على الأخلاق والدين لدرجة الإنكار التام لحقيقتهما وبالتالي تغلبت التكنولوجيا والمذهب التجريبي البحت على جميع الخطابات الأخرى.

وقد جردت الحداثة، المسيحية من جوهرها القدسي واضفت عليها طابعا دنيويا وعرف الفن بالتالي في الحدود البحتة لعلم الجماليات والأذواق.

ان مهمة هذا الكتاب، ليست إعادة تعريف الحداثة وتبيان أسسها وتطورها منذ البداية وحتى النهاية. إن إعادة معرفة التاريخ المنصرم والتذكير بنشاة الأزمة العارمة، دفعنا إلى الغوص في هذا الخطاب. وعلى الرغم من مضي سنوات طويلة، فإن الشرق مازال عاجزا عن معرفة الحداثة بشكل ابتدائي. وحسبما يقول الدكتور **داوري** فإن الحداثة ليست رأيا أو نظرية أو ذوقا شخصيا، إنما هي تمثل تاريخا.

إن الحداثة، ليست محايدة عندما يتعلق الأمر بالدين. المدينة التي لا يعير فيها أحد شانا للدين وحتى إن البعض فيها يعارض الدين علانية، ولا يجب تجاهل أن **نظام عالم الحداثة والتجدد أقيم أصلا على أساس الفكر غير الديني وأن نظرة الإنسان الحديث إلى الكائنات، هي نظرة غير دينية، وإن كانت بعض المعتقدات الدينية قد احتفظت فيه...**

ولا أحد يستطيع القول أنه من غير الممكن التحلي بالمعتقدات الدينية وتأدية الفرائض والمناسك الدينية في المجتمع الحديث، لكن الإيمان وتأدية الفرائض والمناسك هو شئ والنظرة الدينية إلى العالم واتباع الدين، شئ آخر.

إن الحداثة لا تريد ولا تقبل بأن يتدخل الدين في الأمور وترتيب الأعمال، أي إن السائد في عقلانية الحداثة هو الكلام والقانون الذي يضعه الإنسان وكل ما سواه، لا أساس له ويتسم بطابع أسطوري وهو مرفوض، إلا إذا طرأ تغير على أساس الحداثة.[٨]

ويقول جري ماندر الكاتب والباحث الأمريكي البارز في القضايا الاجتماعية وماهية وأداء التكنولوجيا، حول الروح التكنيكية السائدة في الحداثة:

إن التكنيك، ما هو إلا تجسيد للوعي الذاتي الصناعي لدى الإنسان وإن توسع العلوم والفنون الجديدة هو ضرب من تعميق هذا النوع من التجسيد الذي يتماشى ويتناغم فيه جسدنا وروحنا مع النظام الآلي وتتبلور لدينا ظروف ليست مسبوقة البتة في حياة الإنسان والطبيعة. وفي هكذا نظام يتم تبرير كل شئ في ظل التكنولوجيا وتهمش فيه القيم المختلفة.

ويرى **جاك الول**[٩] الفيلسوف الفرنسي الراحل ومؤلف كتاب «المجتمع المصاب بالتكنولوجيا» أن جميع أشكال النشاطات البشرية سواء السلوكيات الفردية أو الفعاليات الاقتصادية المنمهجة في مجتمع تكنولوجي، تنسجم تماما وبشكل أساسي مع المنطق السائد والنظام الآلي. ويذهب الإنسان حتى أبعد من الانسجام والتناغم وتترابط فيه التيارات السياسية والاجتماعية والاقتصادية مع الماكنة وتتحول إلى جزء لا يتجزأ منه.

ويستخدم الول مفردة التكنيك كأسلوب يتضمن اندماج البشرية مع الأشكال الصناعية والميكانيكية وتبلور الوعي الصناعي الذاتي لدى الإنسان. وهذا الأسلوب ليس مشهودا في الأشكال

الخارجية للنظام الصناعي فحسب بل يمكن مشاهدته في عملية تطور الإنسان جنبا إلى جنب الماكنة. على سبيل المثال، عندما نقود السيارة نندمج بشكل ما مع السيارة والطريق ونتحول بالتالي إلى شئ يشبه السيارة. وعندما نشاهد التلفزيون نغرق في صوره ونختزلها في ذهننا لدرجة انها تتحول إلى جزء من عقلنا الواعي. وهنا يمكن القول اننا نندمج مع الصور التي نحملها. وعندما نستخدم الكومبيوتر، نتشابك مع مجموعة لا متناهية من المعطيات وردود الأفعال، بحيث أن أفكارنا وأيدينا وجميع مكونات جسدنا تتناغم مع الماكنة....

إن هذا التعايش المدمج هو الشئ الذي أطلق عليه الول اسم التكنيك. وهذه العملية هي في الحقيقة عملية تختلف عن تطور الإنسان الذي لم يسبق له أن خبرها في عصر لم تكن تتكون فيه بعد التكنولوجيا. العصر الذي أصبح نمو الإنسان فيه في إطار الطبيعة. إن تكامل البشرية أصبح الآن مترابطا بشكل ما مع الأشكال الميكانيكية والإلكترونية في حين أن الطبيعة قد خرجت من هذه المعادلة وهنا نشهد بروز تداعيات كارثية.[١٠]

ويعدد جاك الول، خصائص الفكر الغربي كالآتي:

أ) جعل الفكر فنيا: النزول من الرؤية الشهودية إلى الفكر الفني أو عملية تحجيم الطبيعة بموضوعانية الأشياء؛

ب) جعل العالم دنيويا: النزول من الصورة الجوهرية إلى المفهوم الميكانيكي والذي تسبب بسلب جميع الكيفيات الغامضة والصفات السحرية من الطبعية؛

ج) مكافحة الأساطير: النزول من الفكر الغائي والمعاد والرجوع إلى عبادة التاريخ والزمان الحالي من أي معنى معادي وغائي.

وعلى أي حال، فإن الحداثة لم تكن في يوم من الأيام منفصلة ومنعزلة عن التعريف التالي والخصائص المحددة لها:

المذهب الانساني، كون العقل محورا، إعطاء الإصالة للتقدم والرقي، إعطاء الإصالة للعلم الحديث، علمنة جميع معطيات ومصادر ما قبل عصر الحداثة وغلبة التكنيك والتكنولوجيا والمنظومة الاجتماعية الخاصة بهما على مقدرات الإنسان.

إن الغفلة عن هذه الخصائص أدت إلى أن يفترض سكان الشرق، الحداثة على أنها بمثابة الظرف الجاهز لاستيعات أي مظروف بداخله. ومن هنا باشروا الأيام الأولى من السير من دون علم وتمحيص في منحدر الحداثة الحاد والابتعاد عن مبادئهم وتقاليدهم وأدبهم وأخلاقهم وهيئوا المناخ للتنامي المتزايد للحداثة.

وسنسلط في الأقسام اللاحقة الضوء على التساؤل الذي طرحه المفكرون الغربيون على مدى القرون الأخيرة حول التاريخ الغربي وابنه المباشر أي الحداثة وتوابعه الذاتية ونتائجه القسرية أي رواج الابتذال والانحطاط في العلاقات والاخلاقيات.

إن انتشار تبعات هذا التاريخ ومجاله الفكري والثقافي منذ أوائل القرن العشرين على هيئة أزمات سياسية واجتماعية أدى إلى إلقاء ظلال من الشك الجاد والعام على الحداثة وماهيتها.

إن اتضاح عجز هذا التيار الحديث عن تنظيم العلاقات الدولية والوقاية من اندلاع الحروب المدمرة وعجزه عن تنظيم العلاقات العادلة بين أبناء المجتمع وانتشار التفسخ الخلقي في المجتمعات الغربية، حول إنكار هذا التاريخ والحداثة إلى تيار عام. ومن هنا لم يقتصر الأمر على المفكرين الذين ركزوا على الأزمات بل إن الأمواج المحسوسة للأزمة حولت هذا الأمر إلى ضرب من الوعي الجماعي.

وبهذا لا يوجد أي انسان منصف في الغرب قادر على انكار العلاقة المباشرة القائمة بين أزمة البيئة والأزمة الاقتصادية والأزمة الأخلاقية والأزمة الإيديولوجية وبين التاريخ الغربي والحداثة.

إن تشقق عروق الأزمة ورسوخها في جميع العلاقات والمستويات الثقافية والمادية، على مدى القرون الأربعمائة الأخيرة أدى إلى ان تلقي الأزمة بظلالها على مجمل التاريخ الغربي في القرن العشرين.

إن عامة المفكرين في عالم اليوم، أصبحوا يأتون على ذكر عبارة التاريخ في أزمة.

الأزمة التي تغطي:

أسس ودعائم الحداثة؛

التشكيك بأن الاقتصاد والتقدم الاقتصادي، يعتبران بمثابة القدر المحتوم للإنسان؛

التشكيك بأن الإنسان سيكون أكثر سعادة من خلال الدوس على التعلقات والانتماءات الدينية؛

ان الأزمة تسببت بالضجر من أسلوب الحياة التي ضاع فيها المعنى والمفهوم وأصبحت الوحدة والعجز رديفا لليأس والقنوط وغطت جميع مجالات حياة الإنسان.

الهوامش:

١. داوري، رضا، «نحن وطريق الحداثة العسير».
٢. داوري، رضا، «رسالة في التقليد والحداثة»، ص ٤.
٣. المصدر السابق، ص ١٥٥.
٤. نصر سيد حسين، «الشاب المسلم وعالم الحداثة»، ترجمة: مرتضى اسعدي، طرح نو، ١٩٩٤م.، صص ٢٦٥-٢٦٦.
5. modernity.
6. Renaissance.
7. Reformation.
٨. نحن وطريق الحداثة الصعب، صص ١٥٥-١٥٦.
9. Jacques Ellul.
10. www.resurgence.org.

الهوامش:

١. «اللقاء الفذ وفتوحات اخر الزمان»، ص ٢٧٠.
٢. المصدر السابق، صص ٢٧٠ و٢٧١.
٣. المصدر السابق، ص ٢٧٢.

المصدر: شفيعي سروستاني، إسماعيل، «الغرب وآخرالزمان»، طهران، موعود العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف»، الطّبعة الأولى، ١٤٣٤هـ.ق./ ٢٠١٣م.

سلالة أوناسيس اليونانية

هذه العائلة أو السلالة من «اليونان» ومؤسسها يطلق عليه «ملك البحار»، وكان ببلاده في «أزمير التركية» لعائلة يونانية متوسطة الحال، وذلك عام ١٩٠٦م. قبل الحرب العالمية الأولى وبعد الحرب انتقلت العائلة للعيش في اليونان وذلك عام ١٩٢٣م.

هاجر **سقراط أرسطو أوناسيس** الذي اشتهر بأوناسيس إلى «الأرجنتين» ولم يكن في جيبه سوي ٩٣ دولارا فقط واشتغل في تجارة التبغ ثم شراء السفن، وتعرف عليه رجال الماسونية وساعدوه على تكوين ثروة ضخمة من غسيل الأموال التي بجمعها له بارونات النورانيين حتى أصبح ملك البحار بملك أسطولا من السفن التجارية وناقلات البترول وأسس الخطوط الجوية اليونانية بعد ذلك عام ١٩٥٧م. وكان يعيش على يخته الشهير المسمي **كريستينا.**

تزوج عام ١٩٤٨م. من **ليفانوس** ابنة أحد أصحاب سفن الشحن وأنجب منها ابنه **الكسندر** (١٩٤٨-١٩٧٣م.) الذي توفي في حادث طائرة وأنجب منها ابنته كريستينا (١٩٥٠-١٩٨٨م.) وقد توفيت نتيجة شربها المخدرات في الأرجنتين عام ١٩٨٨م. وأنجب من مغنيه الأوبر **ماريا كالارا** ابنة من علاقة غير شرعية في عام ١٩٦٠م. ولكنه توفي بعد فترة قصيرة

ثم تزوج من أرملة الرئيس الأمريكي **جون كيندى، جاكلين كيندي،** في أكتوبر ١٩٩٨م.

وتوفي في مارس ١٩٧٥م. ورثته ابنته كريستينا التي توفيت عام ١٩٨٨م. ثم انتقلت الثروة لحفيدته **ايثنا أوناسس روسيل** التي تعتبر أغنى امرأة في العالم.

وبعد مرور أكثر ٣٠ عاما على وفاته ما زال ميراث **آريستوتل أوناسيس** مبعث شهرة لليونان أكبر صانعة للسفن في العالم.

وقد وضعت مغامرة أوناسيس ببناء ناقلات عملاقة تحمل النفط حول العالم أسس سيطرة اليونان على واحدة من كل خمس ناقلات في البحر وعلى حصة أقل من سفن الشحن الأخرى.

وقد توفيت جاكلين عام ١٩٩٤م. ودفنت بجوار الرئيس الراحل جون كيندي.

وقال **أنايجل لوري** مراسل صحيفة «لويدز» ليست المختصة بالنقل البحرى لـ«رويترز»: **عالم الأعمال اليوم أصبح آليا ومؤسسيا بدرجة تجعلني أشك في أن اسم أوناسيس سيجد في أي وقت من ينافسه باعتباره يعبر عن ثراء رجل أعمال من الطراز القديم.** وأضاف أن أوناسيس دخل قطاع النقل البحرى كالعاصفة وقاد الاتجاه لبناء ناقلات نفط أكبر وأكبر، حتى الناقلات العملاقة التي تنتج الآن وعلى مدى ٢٠ عامة كانت اليونان أكبر دولة مالكة للسفن في العالم.

وقال **لوري** مؤلف كتاب «أوناسيس وميراثه» إن: **ميراث أوناسيس الأعظم هو النقل البحري وملاك السفن اليونانيون الذين اتبعوا خطاها.**

وقال **نيكولاس تساكوس** الرئيس والمدير التنفيذي لـ«شركة نساكوس انرجي نافيجيشن» الذراع النفطية لأكبر الأسر المالكة للسفن في اليونان إن أوناسيس بلهم ملاك السفن ورجال الأعمال الصغار في الوقت الراهن ومن هؤلاء **ستيليوس هاجي لوانو** مؤسس شركة طيران والمشارك في ملكية «شركة ستيلمار للشحن» ومنهم كذلك **ايفانجيلوس بيستبوليس** صاحب «شركة توب تانكرز» المدرجة في البورصة والحاصل على لقب أفضل رجل أعمال في عام سابق من صحيفة لويدز ليست وبيتر جورجيوبولوس الذي بني في خمس سنوات فقط اسطوة يضم نحو ٥٠ سفينة.

وقال تساكوس والذي كان والده يعرف أوناسيس لرويترز: **أوناسيس كان يسبق زمنه من عدة نواح فبعد ما بين ٣٥، ٤٠ عاما من أوج نجاحه أدرك العالم أهمية النقل الدولي وخاصة نقل النفط.**

ويعتقد **سنيليوس باباديمتريو** الصديق القديم لأوناسيس ورئيس مؤسسة أقامها رجل الأعمال الراحل أن من نقاط قوته صبره انتظارا لأن تؤتي استثماراته ثمارها. وقال لرويترز أن أوناسيم علم الجميع الصبر.

وقد تزوجت حفيدة أوناسيس **أثينا روسيل** من بطل سباق من حفل أسطوري وهو يقسم إنه سيتزوجها لأنه يحبها وليس لمالها، فهي أغنى امرأة في العالم وهو شاب عادي يدعى **الفارودي ميراند** (٣٢ عاما) من «البرازيل».

وبالنسبة لتفاصيل الزفاف فلم تكن سرية بالقدر الكافي في «ساباولو» وعلى الرغم من أن القائمين على الخدمة في الزفاف حيث حضر ٧٠٠ مدعوا للزفاف في «حدائق ماريا لويزا» الخضراء و«مؤسسة أوسكار أميريكانو» التي هي متحف للفنون في منطقة «مورمبي» الراقية.

وارتدت العروس الملياردية زي الفالانتينو مثل الذي ارتدته جاكلين كيندي حينما تزوجت جدها عملاق الشحن اليوناني أرسطو أوناسيس عام ١٩٦٨م.

وقالت **كاراس** إن ثوب العروس تكلف ما لا يقل عن ٦٠ ألف يورو (٧٠ ألف دولار)، وتقول مجلة فيخا إن تسريحة شعرها والتزين بمساحيق التجميل ستتكلف ١٢٠٠ دولار.

وتقول «مجلة ايستو» إن ألف زجاجة من الشمبانيا من نوع فيض كليكو ستكون معدة للفتح.

وفي المدينة التي يعيش فيها الملايين في حالة من الفقر وحيث يشتد العنف فإن فرص اقتراب أي من العامة ليلقي نظرة خاطفة على الزفاف شبه معدومة.

وحضر حفل الزفاف ٤٠٠ من رجال الأمن واجتمع الضيوف في مكان سري ثم نقلوا إلى مكان الزفاف في سيارات فاخرة يمرون من خلالها بنقطتين أمنيتين.

وكانت مراسم الزواج مسكونية من كنيستين حيث إنها من الروم الأرثوذكس وهو من الكاثوليك.

وقال **ميراندا** لرويترز: **فعلنا ذلك لنظهر للناس أن هناك مكانة أفضل لأموالهم.**

وقد التقى الخطيبان أول مرة في «بلجيكا» عام ٢٠٠٢م.

وتأججت عواطفهما بسبب عشقهما للخيول.

وكانت أثينا التي ولدت في «فرنسا» أطلق عليها لقب **البنت الغنية المسكينة** وبينما كانت في الثالثة من عمرها توفيت والدتها وهي في السابعة والثلاثين من عمرها في عام ١٩٨٨م. في «بوينس أيرس» بعد أن كان لها تاريخ من تعاطي المخدرات.

وكسبت أثينا معركة مع والدها **تيري روسيل** للسيطرة على الميراث الشخصي الذي يبلغ حجمه ٨٠٠ مليون دولار بالإضافة لممتلكات، ولم يتأكد حضور والدها للزفاف.

والعريس ميراندا المعروف باسم **دورا** هو أبن **ريكاردو ميراندا** رجل الصناعة، وهو من أكبر الفرسان في البرازيل فقد فاز بمدالييتين برونزيتين أولبيئين، وله ابنة عمرها ستة أعوام من زواج سابق من عارضة أزياء. وقالت «مجلة أيبوكا»، أنه يعيش حياة ميسورة ولكنه ليس مليونيرة مثل أثينا أوناسيس، وعلى الرغم من تشكيك البعض بدوافعه للسعي لنيل إعجاب واحدة من أغنى نساء العالم إلا أنهم عادوا ليقولوا أن الدافع هو الحب الحقيقي.

وأثينا روسيل (٢٠ عاما) الفرنسية المولد هي الوريثة الوحيدة الثروة جدها الراحل عملاق الشحن البحري اليوناني أريستوتل أوناسيس.

وقد أحيت اليونان ذكرى سيد البحار، أرسطو أوناسيس من خلال معرضا بحضور أبرز الشخصيات الصناعية والبحرية والسياسية والثقافية في البلاد وحيا رئيس الوزراء **كوستاس كرمنليس** ذكري صاحب الأسطول البحري الشهير الذي كان يجسد «بامتياز ديناميه روح المبادرة لدى اليونانيين».

والمعرض في «متحف بيناكي»، بعنوان «ما بعد الأسطورة»، وهو عبارة عن مجموعة من ٣٠٠ صورة و ٥٠٠ غرض ثمين أو شخصي افتاده هذا الملياردير الذي عاش حياة مليئة بالتقلبات قبل أن يتوفى العام ١٩٧٥م.

وقال رئيس الوزراء إن شخصية وحياة أرسطو أوناسيس مطبوعتان في ذاكرة اليونانيين حول العالم فهو كان ولا يزال أسطورة حقيقية جُسدت في ضمير اليونانيين والأجانب.

ويتمحور المعرض الذي نظمته «مؤسسة أوناسيس»، حول أوناسيس الشخص، من خلال إظهار جوانب غير معروفة من حياته، وهو يبرز الصفات الحسنة فيه من دون التطرق إلى مكره الأسطوري.

ومن خلال عدد من الواجبات يجول الزائر على أبرز المحطات التي حلت حياة سيد البحار من ولادته في منطقة الأناضول في عائلة فاحشة الثراء تعمل في مجال التبغ إلى وفاته في «باريس» بعدما جمع ثورة طائلة.

بعد سلسلة من الوظائف الصغيرة من بينها ساعي البرق دخل أوناسيس المجتمع الأرجنتيني الرافي حيث لفت انتباه إيفا بيرون وبدأ العمل في تجارة التبغ واشترى سفينته الأولى عام ١٩٣٣م. ثم ناقلة النفط الأولى الخاصة به عام ١٩٣٨م.

وما لبث أن طور إمبراطوريته البحرية في «الولايات المتحدة» حيث كان يعايش المجتمع الراقي ويخرج مع شهيرات تلك الحقبة مثل فيرونيكا لبك وغلوريا سوانسن، تزوج عام ١٩٤٦م. من **تينا ليفانو** ابنة أكبر صاحب سفن يوناني التي رزق منها بابن الكسندر وابنة كريستينا اللذين قضى كلاهما في ظروف مأساوية.

وبعد الحرب توجه أوناسيس إلى أوروبا وتحديدا إلى باريس ثم اشترى «كازينو مونتى كارلو» حيث استقر مهنيا. وهناك أصبح صاحب يخت كريستينا الفاخر حيث أقام ودعا إليه كبار العالم.

وتنتهي الزيارة بعرض النشاطات مؤسسة أوناسيس، التي تعنى برعاية الفن من دون ذكر طبعا المعركة بين المسؤولين في المؤسسة وأثينا حفيدة أوناسيس ونسيبته الوحيدة التي منعت من الوصول إلى منصب رئاسة المؤسسة، وهي رفضت الدعوة التي وجهت إليها لحضور المعرض.

وهكذا شمل المعرض حياة سيد البحار ومؤسس آل أوناسيس وهي من سلالات النورانيين.

المصدر: منصور عبدالحكيم، «سلالات وعائلات ومنظمات تحكم العالم»، دمشق، دارالكتاب العربي، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

من هي ستفوز؟ المهدوية أو العولمة

قال تعالى: «**وَ لَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُونَ**»[1]

فالقوانين والأنظمة والتشريعات الإلهية التي بينها الأنبياء وأرسل للناس هي الأمثل لقيادة الشعوب والأمم، دون أخطاء أو هفوات، لو طبقت بشكل صحيح لأن المشرع لها هو الله عز وجل وهو اعلم بنفوس خلقه وغاياتهم ورغباتهم، قال تعالى: «**أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**»،[2] بخلاف الأديان والقوانين الوضعية التي تنبع من أشخاص عاديين من اجل إرضاء رغباتهم أو تحقيق غاياتهم وطموحاتهم الشخصية، والتي تكون قاصرة عن الإحاطة بكل نواحي الحياة.

إن الأديان الوضعية تعتمد في هذا التحليل على اجتهادات شخصية دون دليل علمي، بينما الأديان الإلهية تنطلق من قرار الهي إن هذه المسيرة البشرية بقرار من الله تعالى ستنتهي إلى مجتمع سعيد: «**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ**».[3] هذا القرار الإلهي موجود بأن الحكم سيكون للمستضعفين في الأرض وقد أنبات به الكتب الإلهية ولو بقى التقدم العلمي بدون إخبار الهي غيبي فإنه لا يملك دليلا يتوصل به إلى هذه النتيجة، نحن نرى اليوم كلما زاد التقدم العلمي، زادت المأساة والبؤس بسبب عدم الاستخدام الصحيح لهذا التقدم العلمي.[4]

أمّا بعد...

إن جميع الشعوب والقبائل والحضارات كانت وما تزال تؤمن بوجود مصلح عالمى يظهر لكى يوحد البشرية جمعاء تحت لوائه وحكومته فيزيل كل الحواجز والمعوقات نحو التوحد ونشر الإخوة بين الشعوب ويزيل كل أنواع الظلم والاستعباد، وهذه الفكرة لا يختص بها شعب دون شعب آخر، ولا يختص بها الدين الإسلامي أو الشعب الإسلامي فقط، وان كان المنتظر الإسلامي هو المصداق الحقيقي والوحيد لمفهوم المصلح العالمي.

عالمية المهدي الإسلامي

إن عالمية المهدي الإسلامي تنطلق من عالمية الإسلام باعتباره خاتم الأديان والشرائع وكتابه المنزل «القران الكريم» خاتم الكتب السماوية.

فالإسلام دين لكل الشعوب، قال تعالى: «**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسلامُ**»[5] ومن يأت يوم القيامة بغير هذا الدين فلن يقبل منه «**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ**».[6]

إن الإسلام في عقائده وعباداته وأخلاقه وشرائعه ونظمه السياسية والاقتصادية والاجتماعية رباني بصورة مطلقة من حيث المبادئ الأساسية والقواعد الكلية.[7]

فكل ما جاء به الإسلام من قوانين ونظم وتشريعات وأحكام، هي عالمية صالحة لكل البشر في كل زمان ومكان، وان حدث ما حدث في تاريخ الشعوب الإسلامية من حروب ودمار وخراب وتأخر فليس مرده إلى قصور في الدين الإسلامي بل إلى تقصير في المسلمين أنفسهم فهم لم يستوعبوا التشريع الإسلامي بكامل حدوده وأطره.

والفكرة المهدوية الإسلامية تعد من ركائز الدين الإسلامي العقائدية، إذ أن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة أشارت بوضوح إلى ذلك، والمهدي الإسلامى ضرورة لابد منها من اجل إكمال مسيرة الخط الرسالى للنبى ﷺ، فخاتم الأنبياء قد رحل إلى دار البقاء ولم يتحقق معه الهدف الأكبر من نشر الرسالة المحمدية في جميع بلاد الأرض، وهذا الهدف سيبقى منوطا بظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه.

وجميع الفرق الإسلامية تتفق على ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه في آخر الزمان، وانه لابد من ظهوره وقيام الدولة الإسلامية العظيمة وجعل الإسلام الدين الوحيد الذي تدين به البشرية ويوحد الله عز وجل أهل الشرق وأهل الغرب، حتى لا يبقى على الأرض مشرك.

قال تعالى: «**هُوَ الَّذي أَرسَلَ رَسولَهُ بِالهُدىٰ وَدينِ الحَقِّ لِيُظهِرَهُ عَلَى الدّينِ كُلِّهِ وَكَفىٰ بِاللَّهِ شَهيدًا**»[8]

وقال تعالى: «**يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**»[9]

فهذه الآيات وغيرها تشير بوضوح إلى الوعد الإلهي للمؤمنين باستخلاف الأرض وإظهار الدين الإسلامي في جميع أرجاء المعمورة.

وقد بشر النبي ﷺ بالإمام المهدي عجل الله فرجه وانه من أهل البيت عليهم السلام، وبالخصوص من ولد فاطمة الزهراء عليها السلام، وانه الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام.

قال رسول الله ﷺ: «**أبشركم بالمهدي، يبعث في أمتي على اختلاف من الناس وزلازل فيملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما.**»[10]

فإذا كان الدين الإسلامي خاتم الأديان فإن مهديه هو من سيحكم الأرض ويوحد العالم، وينشر القسط والعدل، وأي ادعاء غير ذلك فهو باطل لأن جميع الأديان السابقة قد نسخها الدين الإسلامي، فلا يؤخذ بها، ولا يؤخذ بشيء مما يدعيه أتباعها.

وأما أهل الإلحاد والكفر كالبوذيين والمجوس وغيرهم، فان بطلان عقائدهم وادعاءاتهم واضح لا يحتاج إلى دليل.

والمشروع الإسلامي المهدوي مشروع متكامل من جميع نواحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، بل حتى الروحية منها.

وإذا كانت الظروف والأوضاع لم تساعد على إقامة الدولة الإسلامية العالمية فإنما ستكون مؤاتية في عهد الظهور بلا معوقات ولا عراقيل وخصوصا بعد فشل الأطروحات غير الإسلامية وفشل الحكومات السابقة للظهور في إقامة الدولة الموحدة.[11]

إن دولة الحق الإلهي بقيادة الإمام المهدي عجل الله فرجه سوف تظهر للوجود بعد أن تصل البشرية إلى مرحلة اليأس من جميع القوانين الوضعية والتي لن تحقق له إلا الشقاء والعناء والقهر، عند ذلك يبدأ الناس يلهجون بذكر المهدي عجل الله فرجه، وينادون باسمه لكي يخلصهم مما هم فيه من ظلم واستبداد، فيبدأ تحركه المبارك، لذلك فان:

الخطوة الأولى في توحيد العالم والمجتمع البشري هو إيمان الأديان جميعا بالإمام المهدي عجل الله فرجه، والدخول تحت رايته ذلك أن الدعوة لدمج العالم ليست دعوة حديثة بل إنما ارتبطت تاريخيا بالديانات السماوية القديمة، لقد انطلقت هذه الديانات من فكرة وحدة البشرية أمام الخالق وبالتالي فإن الجوهر بالنسبة لكل الديانات هو دعوة الشعوب والأمم للتقارب والتكامل تحت راية الإيمان بوجود رب واحد وخالق واحد وقيم وقناعات ومسلمات مشتركة تحكم السلوك الإنساني في كل أنحاء العالم.

ثم يبدأ الإمام المهدي عجل الله فرجه رحلته العظيمة في السير بالبشرية نحو التكامل والرقي والسعادة من خلال بناء المجتمع الموحد المتكامل فيدعو الشعوب إلى التوحد تحت رايته ويعطيهم الأدلة على عالمية قيادته وشموليتها، فيخرج لليهود «التوراة»، وينزل **عيسى** عليه السلام فيدعو المسيحيين للإيمان بالمهدي عجل الله فرجه، والدخول في الإسلام وتنقاد له الأمة الإسلامية لأنه هو القائد الحقيقي الذي سيبعث الأمة من سباتها العميق فيحيى معالم الدين الإسلامى وسنة رسول الله ﷺ، فيدين له القاصي والداني، والى ذلك يشير القران الكريم في قوله تعالى: «**وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا**»[12]

وكذلك قول الرسول محمد ﷺ: «**والذي بعثني بالحق بشيرا لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه ولدي المهدي، فينزل روح الله عيسى بن مريم فيصلى خلفه وتشرق الأرض بنور ربها، ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب.**»[13]

العولمة والعالمية

إن العولمة بكل ما تحويه من اطر ومفاهيم وسياسات ما هي إلا نظام استعماري جديد بطرق جديدة أكثر حداثة من خلال استغلال التطور العلمي والتقني.

ونتائجها سوف تكون مأساوية على الشعوب من خلال انتشار الظلم والفقر والحرمان، وما تخلفه الإمراض الاجتماعية من حروب ودمار وخراب.

ودعاة العولمة لن يستطيعوا توحيد العالم تحت قيادتهم، وما تعانيه شعوبهم من مشاكل ومآسى لأكبر دليل على ذلك فهم غير قادرين على إسعاد البشرية بما يطرحونه من أفكار ونظم.

وفي هذا الإطار يقول احد الأمريكان:

هل تملكون في أفواهكم احتياطيا مناسبا من اللعاب كي تبصقوا على تمثال الحرية بـ«أمريكا»، إذ لا حرية سوى حرية الإباحية، فنحن شعب مستعبد لقوى مجهولة تتحكم فينا وفي مصائرنا وتسير بنا إلى حيث تريد هي لا إلى حيث نريد نحن.

وقال آخر:

التكنولوجيا لدينا نحن الأمريكان موجهة إلى جهتين لا ثالث لهما، تكنولوجيا تصل ببعض الأمريكان للقمر، وتكنولوجيا تصل بالشق الأعظم من الأمريكان ومن يلوذ بهم إلى مستودع النفايات.[١٤]

هذا هو باختصار الطريق الذي تسير به العولمة ودعاتها، طريق الخراب والدمار وإضعاف الشعوب واستعمارها.

أما العالمية المهدوية فهدفها واضح وصريح هو هدف الشعوب المحرومة والمستضعفة – لأهدف أصحاب رؤوس الأموال والإقطاعيين – في الحياة الحرة الكريمة العادلة، وفي العيش بأمان من خلال دولة موحدة، فلا حدود ولا فواصل بين بقاع الأرض. فالمهدوية نظام عالمي متكامل لأنه ينطلق من النظرية الإسلامية ومن التشريع الإسلامي.

فالإسلام يمثل بنظامه المتميز الفريد منهجا متكاملا لتنظيم الحياة عقائديا من حيث علاقة الإنسان مع الله، وقانونيا مع الناس، وسياسيا مع الدولة، واقتصاديا مع العمل، بما يستوعب الحياة كلها وحركتها.

أما العالمية فتعني أن الشريعة الإسلامية في أحكامها ومبادئها وتوجيهها ذات صيغة إنسانية عالمية.[١٥]

وهذه العالمية الإسلامية هي الامتداد الحقيقي للعالمية المهدوية وقد عرف التاريخ الإنساني اكبر ثورة أخلاقية وتشريعية قام بها الإنسان على وجه الأرض، وهي ثورة النبي المصطفى ﷺ، فنقل العرب من مجتمع البداوة والتصحر إلى مجتمع الحضارة والتقدم والعلم، مجتمع التوحيد والإيمان، من خلال الشريعة الإسلامية.

الهوامش:

١. سورة الأنبياء، الآية ١٠٥.
٢. سورة الملك، الآية ١٤.
٣. سورة النور، الآية ٥٥.
٤. «الحركة الإصلاحية»، السيد صدر الدين القبانجي، ص ١٢٢.
٥. سورة آل عمران، الآية ١٩.
٦. سورة آل عمران، الآية ٨٥.
٧. «الإسلام مقاصده وخصائصه»، ص ٢٤.
٨. سورة الفتح، الآية ٢٨.
٩. سوره التوبه، الآيتان ٣٢ و٣٣.
١٠. «إلزام الناصب»، ص ٤٤٠.
١١. «معالم الحكومة»، ص ١٠٤.
١٢. سورة آل عمران، الآية ٨٣.
١٣. «معالم الحكومة»، ص ١٠٦.
١٤. «المفاجأة بشراك يا قدس»، ص ٣١.
١٥. «الإسلام مقاصده وخصائصه»، ص ٣٨.

المصدر: عماد جميل خليف، مقالة «العولمة والعالمية المهدوية»، موقع mouood.org.

النظام التأسيسي لفرسان الهيكل

واستنادا إلى المصادر التاريخية، فقد أقدم «فرسان الهيكل» على وضع نظام تأسيسي لهم وعيا منهم بأهدافهم طويلة الأمد ولترتيب تنظيمهم بصورة دقيقة.

ويأتي تاريخ الحروب الصليبية على ذكر الراهب الأعظم **كلروو** بوصفه أكثر رجال السياسة والدين باوروبا الغربية نفوذا على أنه من وضع النظام التأسيسي لفرقة «فرسان الهيكل» ويقول:

إنه كان يهتم على الدوام بشؤون مسيحيي الشرق وساعد عام ١١٢٨ للميلاد على تنظيم ووضع النظام التأسيسي لفرقة «فرسان الهيكل».[١]

القوانين اللاتينية

وفي ١٣ يناير ١١٢٨ للميلاد، إلتقى حشد من القساوسة معا تحت إدارة بابا «طروادة». كما انضم **برنارد** والفرسان الذين كانوا حتى ذلك الحين في أوروبا إلى بعضهم البعض. وكان هدف المجلس البت في قضايا الكنيسة، لكن بما أن هذه الأعمال كانت قد أنجزت من قبل، فقد نجح برنارد في الإستفادة منها لتمرير أهدافه. وقد واضب **هوغس دي باينز** على وصف وتوضيح أسس ومبادئ نظام «فرسان الهيكل» والقوانين التي كانوا يتبعونها في حياتهم. وتحدث عن وجبات الطعام الجماعية في الصمت والملابس البسيطة وعهود الفقر والطهارة والطاعة التي كانت تؤخذ منهم.

وبعد محادثات قصيرة، صادق مجلس طروادة تحت إرشادات وتوجيه برنارد على ما أسماه «قوانين طروادة». وتألفت هذه القوانين من ٧٣ عبارة تتحكم بجميع أبعاد ومجالات حياة الفرسان، وتعكس بشكل ما قوانين «السيستريك» [إحدى الفرق العرفانية المسيحية على غرار البنديكت والجوزيت]. لكن بشروط إضافية عندما يكون الفرسان منهمكين في العمل (أثناء تقديم الخدمة). وكانت هذه القوانين تتضمن تعليمات لكل شئ تقريبا: كيفية قبول الأشخاص الجدد، وسن قبولهم، وطول المدة التي يجب أن يخدم فيها كل رجل، وعقوبات السلوكيات السيئة، وأي جرائم تؤدي إلى طرد الأشخاص من رتبة الفارس. وكان الأخوان يأكلون وجبتي طعام يوميا في صمت، ويتناولون اللحوم ثلاث مرات أسبوعيا فقط. ونادرا ما كان يتم قبول الرجال المتزوجين، شريطة أن يحصلوا على رضا زوجاتهم، لكن جميع العلاقات الطبيعية بينهما كانت محظورة.

وكان على الأخوة الذين يرتكبون ذنبا وينتهكون القوانين، أن يعترفوا ويظهروا ندمهم، وربما كان يتم طرد بعض الأخوة بسبب بعض هذه الذنوب: البوح عن أسرار هذه الرتبة، وشراء أو بيع إمتياز الدخول إلى رتبة الفارس، وقتل مسيحي ما، والسرقة، والهروب أثناء الحرب، واللجوء إلى المسلمين وممارسة اللواط.
والجرائم الأقل وقعا تشمل هذه الحالات: عدم الطاعة، ومهاجمة أحد الأخوة، وإقامة علاقة مع إمراة ما، والدخول في حرب من دون إذن ووهب أو فقدان شئ من ممتلكات نظام الفرسان.

رئيس نظام الفرسان

وكان الأستاذ الكبير، في «اوت رمر» [منطقة واسعة تحت سيطرة المسيحيين في «أورشليم»] الرئيس المطلق للرتبة. وتأسيسا على هذا القانون، كان لازما الطاعة الكاملة للأستاذ الكبير في أي وقت. لذلك كانت هناك تعاليم صارمة لإنتخابه. وكانت مجموعة من «الرجال القيمين للبيت» يصوتون من أجل إنتخاب شخص يتصرف كمفوض مسؤول، وبعد ليلة من العبادة، كان هذا المفوض ومعه مرافق خاص، ينتخبان أخوين آخرين إلى أن يصل العدد إلى ١٢ شخصا، على شرف ١٢ حواريا. إن إضافة قس آخر للحصول على مكانة المسيح، أوصل عدد أشخاص هيئة الإنتخابات إلى ١٣ شخصا. وكان فرسان الهيكل يسعون دائما لان يكون هناك ثمانية فرسان في المجموعة، أربعة حراس وأربعة قساوسة، كما كانوا يسعون لان يكون الأعضاء من مختلف الجنسيات. وكان التصويت يتم بصورة سرية، وكان من الضروري أن يطغى قرار الأغلبية للإعلان عن الأستاذ الكبير الجديد من قبل الأخوة.
وكان الأستاذ الكبير مسؤولا فقط أمام البابا رغم أنه كان على غرار البقية يراقب بواسطة القوانين اللاتينية. وكان عدد من الأساتذة الكبار، يصبحون مستشارين لملوك أوروبا.[٢]
وعلى امتداد الحروب الصليبية وحتى آخر أستاذ أكبر، كان هناك ٣٧ بابا. وكان بعضهم من حماة الفرسان بالكامل ويقدمون لهم الدعم والمساعدة، بينما كان البقية ممن فيهم «كلمنت الخامس»[٣] الذي ساعد على سقوطهم، ضدهم. وكان معظمهم من حماة الفرسان وترسخ بواسطة هذا الدعم، نظام الفرسان بصورة رصينة في مركز حياة المسيحيين في الأرض المقدسة، ورغم أن منتقديهم كانوا قد بقوا، لكنهم لم يكونوا في تلك الحقبة، يملكون القوة لمواجهة الفرسان.[٤]

الهوامش:

١. رونسيمان، ستيفن، «تاريخ الحروب الصليبية»، ج ٢، ص ٢٩٢.
2. The Secret History of Knights Templar, susle hodge, Lorenz books 2008, London, pp22-23.
3. Clement V.
4. The Secret History of The Knights Templar, pp 26-27.

المصدر: «التاريخ الثقافي لقبيلة اللعنة » (الجزء السادس): فرسان الهيكل وأسس الماسونية، إسماعيل شفيعي سروستاني، طهران، هلال، الطبعة الأولى، ٢٠١٩م.

لبنان – القسم الأوّل

محمّد حسين مظفر

جبل عامل

كان بدء التشيع في «جبل عامل» بفضل دعوة المجاهد في الله **أبي ذر الغفاري** ثم أخذ يسير و ينتشر في الجبل شأنه في كل بلد ركز لواءه فيه، اذا لم تحجز دونه الحوائل، و حينما كثر الشيعة و انفسح المجال لهم في طلب العلم أخذوا يجدون في تحصيل علم أهل البيت عليهم السلام حتى بالهجرة الى «ايران» و «العراق»، فتخرج منهم علماء استفاد الشيعة بمؤلفاتهم الى اليوم، و طبقوا البلاد شهرة و صيتا، منهم **الشهيد الاول محمد بن مكي**[١] صاحب «اللمعة الدمشقية»، و الذكرى، و الدروس، و البيان، و القواعد، و غيرها، و منهم **الشهيد الثاني زين الدين بن علي الجبعي**[٢] صاحب «الروضة البهية» في شرح «اللمعة الدمشقية»، و صاحب المسالك، و شرح القواعد، و آداب المفيد، و غيرها، و منهم **الشيخ حسن بن الشهيد الثاني زين الدين**[٣] صاحب المعالم في الفقه و اصوله، و معالم الاصول حتى اليوم يقرأها تدريسا طلاب العلم الجعفري، و منهم المحقق الثاني **الشيخ علي الكركي**[٤] صاحب شرح القواعد و شرح الشرائع و غيرهما، و كان ذا مقام رفيع، و شأن خطير عند الملوك الصفوية في ايران، و منهم **الشيخ محمد الحر** صاحب «وسائل الشيعة» الذي جمع فيه حديث أهل البيت عليهم السلام في أبواب الفقه كافة جمعها من الكتب المعتبرة عند الشيعة، كالكتب الاربعة لمؤلفيها المحامید الثلاث، **محمد بن يعقوب الكليني**، و **محمد بن علي الصدوق**، و **محمد بن الحسن الطوسي**، و من كتب اخرى كثيرة جليلة، و منهم **الشيخ بهاء الدين محمد بن الحسين** المعروف بـ **الشيخ البهائي**[٥] صاحب المؤلفات العديدة في جميع فنون العلم، كالخلاصة في علم الحساب، و تشريح الافلاك في علم الهيئة، و الزبدة في اصول الفقه، و الصمدية في علم النحو، و له في الفقه، مؤلفات كثيرة، و في الرجال مؤلفات وجيزة، الى غير ذلك من المؤلفات الجليلة كالكشكول، و هو صاحب الرحلات و السياحة في البلدان، و استقر آخر ايامه في ايران، الى ان قبض و دفن في «خراسان»، و على قبره اليوم بناء مشيد قلما يكون مثله لقبور الأولياء و العلماء، و في غرفة القبر وضعت مؤلفاته بموضع خاص، و الى جانب القبر مكتبة عامة باسمه، الى غير هؤلاء من أجلة العلماء و جهابذة رجال الفضيلة.[٦]

و كانت الشيعة في جبال عاملة بعضا من «سوريا» في كل ما تراه البلاد من الضراء و السراء، حتى اذا لحقت جبال عاملة بحكومة جبل لبنان في زمن الامير **فخر الدين المعني** عام ١٠٢١م.، و كانت قبل ذلك قطعة مستقلة في ايلة «صيدا»، اقطع الامير المذكور مراكز حكومتها رجاله، ففقدت بذلك استقلالها، و قصرت عن التغلب على حاكميها، و لكن عبث الحاكمين و استدرار منافع البلاد بكل وسيلة و لو بخراب الديار حمل العامليين على الخروج عن ربقة الضيم و حبائل الذل، فان قرية «الكوثر» في مقاطعة «الشومر» من جبل عامل قاومت الامير **فخر الدين المعني**، و كانت القرية محلا لآل الصغير من زعماء الشيعة، فتغلب الامير عليها و ترك عسكره يعيث فيها ثلاثة أيام بعد ان قتل المقاتلة و سبى الذرية.

و كان عامله على قلعة «الشقيف» **حسين الطويل**، و اليه يرجع عمل «الشومر» و «التفاح» فتنازع مع عامله الآخر **حسين اليازجي** على قلعة «بانياس» و «ليه» شرقي بلاد بشارة، فأرسل اليازجي عسكره مغيرا على قرى حسين الطويل و أهلها شيعة، و ارسل الطويل عسكره مغيرا على قرى اليازجي حيث هاجم قرية «عيناثا» و اهلها شيعة أيضا، لكنه ارتد عنها بخسارة بعض رجاله، و هكذا كانوا يتنازعون و الشيعة عرضة لتنازعهم و طعمة لجشعهم.

و دخل الامير ملحم الى قرية «انصار» من مقاطعة «الشومر» عام ١٠٤٨م. و قتل و سبى و نهب و سلب، و ارتكب الاعمال القاسية التي يقاومها الدين، و تأباها المروءة، و يمقتها الوجدان.

فكانت هذه النكبات الممضة و هاتيك الطوارئ العدائية المعادية، التي حلت بجبل عاملة، سببا لاستفزاز همهم و ايجاد روح الوحدة و التناصر، و الاستبسال و التضحية لاخذ الاستقلال، و ساعدهم على هذه البسالة و التحسس ما طرأ على الحكومة المعنية من الوهن زمن **الامير أحمد**، فأعلنوا استقلالهم عن لبنان، و خرجوا عن طاعة امرائها فغزاهم الامير أحمد عام ١٠٧٧م. في «النبطية» و هي مقر حكامها الصعبيين، فارتد عسكره على الاعقاب بعد حرب شعواء، فاستثار

والي صيدا عليها، فأتاها هذا في العام الثاني غازيا، فكانت هزيمته غنيمة، و لحقه العامليون الى عين المزراب قرب صيدا.

ثم استعرت بعد هذا بين مشايخ الشيعة و أمراء «لبنان» نيران الوقائع. فكانت بينهما سجالا. و هذه النيران اضرمت في قلوب بني عاملة شعلة النجدة و التكاتف، حتى بلغت اقصى درجات الشهرة في شدة البأس و قوة الشكيمة في ذلك العصر، عصر الغارات و الحروب.

و وقعت بينهم و بين امير «صفد» و «عكا» ظاهر العمر حوادث انجلت عن التحالف على اساس ثابت بين ظاهر العمر و ناصيف النصار، و جرى في عكا ثامن رجب عام ١٠٨١م. فكان بعد ذلك لظاهر من هذه المحالفة عون في امتداد سلطانه الى ما وراء صيدا، و لناصيف منه عون في وقائعه مع اللبنانيين.

و كان الامراء الحرافشة في «بعلبك» قبل هذه المحالفة نعم العون لبني عاملة غير ان البعد بين البلدين يحجز عن المساعدة الكافية.

و ان أهم الوقائع التي مد فيها ظاهر العمر يد المساعدة لبني عاملة هي الواقعة المعروفة بواقعة «كفرمان» أو واقعة النبطية عام ١٠٨٥ حيث ساق الامير **يوسف الشهابي** الجيوش الجرارة عازما على اكتساح بلاد الشيعة، فكان عسكره على رواية الامير **حيدر** عشرين الفا، و على رواية الشيخ **علي رضا** في مخطوطاته ثلاثين ألفا، و بعد ان نهب قرية جباع الحلاوة حل في كفرمان و ناوشه القتال من عسكر الشيعة

المخيم في «النبطية» خمسمائة فارس، بقيادة **الشيخ علي الصعبي**، فانتصروا على ذلك الجيش الكثيف، قبل ان يرجع الصريخ من صفد بعسكر ظاهر العمر، و قبل ان يهيج بقية العسكر الذي في النبطية، و انهزم اللبنانيون لا يلوون على شيء، و قد روى الامير حيدر ان لبنان ليست السواد لهذه الحادثة فكانت النساء كالغربان، و في هذه الحادثة يقول الشيخ علي رضا ان الشيخ

ناصيف أدرك الامير يوسف بالقرب من قرية «جرجوع» فألبسه الفرو مقلوبا، و هو أشبه بجز الناصية عند العرب[٧].

و لم تمض هذه الليلات التي كانت فيها جبال عاملة ذات الحول و الطول حتى استقل في عكا **احمد باشا الجزار**، فبدأ باخضاع الشيعة، فكانت له معهم وقائع آخرها واقعة «يارون» حيث ساق الجزار عسكره على بلاد «بشارة»[٨] فجاء في خامس شوال عام ١١٩٥م.، فأسرع اليه ناصيف بعسكره و التقيا في قرية يارون من جبل عامل قريبة من صفد فكانت النصرة لعسكر الجزار، و زلت بناصيف فرسه، فابتدره احد الجنود بطلقة اصاب منه مقتلا، و تفرق العسكر، و تشتت أمره، و جاس الجزار خلال الديار و ماج بها نهبا و سلبا و قتلا، و لم يمهلوهم ليجمعوا شتيتهم، و يملكوا أمرهم، فاستولى الرعب على البلاد، ثم هدمت القلاع و حوصرت قلعة «شقيف ارنون» شهرين، ثم فتحت و هدمت، و هربت مشايخ البلاد الى «الشام» و العراق، ثم لجأ منهم جماعة الى عكا فاستأمن الجزار بعضهم، حتى اذا وثقوا بأمانه غدر بهم، فكانوا في سجنه و عذابه الى ان ماتوا، ثم وزع عماله على البلاد، و كانت البقية الباقية من مشايخ البلاد تتحفز بقوتها الضعيفة لصد قوة الجزار الهائلة، حتى اذا خرج **حمزة بن محمد النصار** على متسلم «تبنين» و قتله ارسل اليه الجزار سرية عسكرية واقعته في قرية «شحور» عام ١١٩٨م. فتشتت شمل الشيخ حمزة و قبض عليه و قتله أشرها قتلة.

و لما دخل الجيش الفرنسوي تحت قيادة «نابليون بونابرت» بلاد الشام وجد الشيعة و الصفديون بسببه الراحة، و تخلصوا من ظلم الجزار و عتوه، و لما انجلى الفرنسيون و اطمأن الجزار في ولايته اشتد على بلاد بشارة و ساحل صفد، و لم يسمع بكبير او ذي جاه الا اخذه أخذ عزيز مقتدر، و لستصفى امواله، و تركه لرحمة زبانية عذابه في سجنه، و دامت الحال من عام ١٢٠٩ الى عام ١٢١٩م. عشر سنين، هلك فيها الحرث و النسل.[٩]

و ضغط على العلماء و تعقبهم قتلا و سجنا و تعذيبا، و تشتت من بقي منهم في أقطار الارض و استصفى آثارهم العلمية، و كان لافران عكا من كتب جبل عامل ما أشغلها بالوقود اسبوعا كاملا، و كانت هذه الضربة الكبرى على العلم و اهله و خلت جبال عاملة من رجال العلم. بعد أن كانت زاهرة الربوع بالعلماء و ارباب الفضل و التأليف.

و ممن فر من العلماء من ظلم الجزار، العالم الكبير و الشاعر المبدع **الشيخ ابراهيم يحيى**، قطن دمشق الشام. و بلي بها **الشيخ علي الحانوتي** الطبيب الفقيه. و العالم بعدة علوم، هاجر في طلبها الى ايران. و قد صودرت أمواله و ضبطت أملاكه، و حبس مرتين و لم تقبل منه فدية، ثم أخذت المكتبة الكبرى التي كانت لآل خاتون. و كان الشيخ المذكور ولي أمرها و كانت تحتوي على خمسة آلاف مجلد من الكتب الخطية النادرة، فأمست في عكا طعمة للنار.

و ممن فر من ظلم الجزار **السيد ابو الحسن ابن السيد حيدر الامين و الشيخ حسن سليمان**، و الشيخ محمد الحر، و قد اعتصم بآل حرفوش أمراء بعلبك، فكان فيهم آمنا مطمئنا حتى اتاه البشير بهلاك الجزار و بمولود جديد له في وقت واحد، فسمى المولود سعيدا، ثم رجع الى بلده جبع و هو محلى السرب، الى غير هؤلاء ممن شملهم ظلم الجزار.

و لم يفق العامليون من هذه الدهشة العظمى الا بهلاك الجزار، و بعد ذلك جرت عدة حوادث لم تكن لها تلك الاهمية.

ثم تولى بعدئذ الزعامة **حمد البيك بن محمد بن محمود بن نصار** ابن اخي ناصيف النصار، و لقبته الحكومة بشيخ مشايخ بلاد بشارة، و كان عالما شاعرا، فآوى اليه العلماء و الشعراء، و أخلدت البلاد الى السكينة و هدأت من الفتن و المنازعات، و تفرغ كل لما يعنيه، و لما توفي عام ١٢٦٩ قام من بعده ابن أخيه **علي بك الاسعد** الشهير، فكانت البلاد في ايامه بأرغد عيش و أهنأه. و لكن شبت في آخرها نيران النزاع بينه و بين ابن عمه **ثامر بك** ادى الى اعتقاله و اعتقال ابن عمه **محمد بك الاسعد** حتى توفيا معا بالشام عام ١٢٨٢.[١٠]

و لما هدأت البلاد و عادت الامور لمجاريها و استولت «تركيا» على سوريا كدولة حاكمة تدير رحى الادارة في البلاد، بموظفين هي تعينهم كما هو الشأن في الحكومات و شأنها في غيرها من البلاد، و كانت سياستها مع الشيعة في «دمشق» و «حلب» و جبال عاملة و بعلبك، كما هي في سواها من البلاد مقاومة مذهب اهل البيت عليهم السلام بنشر الدعاة و بث الدعايات و محاربة المنتمين لهذا المذهب. و هل كانت فاجعة حلب المؤسفة الا في ايامهم. نعم لم تقهر بلاد سورية بالسيف على اعتناق مذهب الدولة كما صنعت في بعض البلاد الشيعية كشمال العراق.

فكانت هذه سيرة حكومة آل عثمان و تلك سجاياهم الى أن أزالتهم من سورية دول الحلفاء بمساعدة الشريف **الحسين بن علي** ملك الحرمين و انجاله العظام، و أقيم جلالة الملك **فيصل الاول** ملكا على دمشق و حلب، و **الشريف عبد الله** أميرا على «شرقي الاردن»[11] و أرسلت الدول لجنة امريكية لاكتشاف رغبات الشعوب و جاءت الى سورية، أظهر العامليون على لسان ممثليهم و في طليعتهم حجة الاسلام **السيد عبد الحسين شرف الدين**[12] رغبتهم في تشكيل حكومة عربية مستقلة ملكها فيصل غير ان الحكومة الفرنسية لم تعر هذه الرغبة اذنا صاغية، فحدا العامليين هذا التصامم على المطالبة سلميا بحقوقهم، فقابلهم المستعمرون بالشدة فسبب ذلك التهاب نيران الثورة في طول عاملة و عرضها، و كان زعيم هذه الثورة حضرة السيد عبد الحسين و زعيم العامليين كامل بك الاسعد فقاومتها الحكومة المستعمرة شتى الاساليب، من تحديل البعض، و استمالة الآخر، و الفتك الذريع فيما تفتحه من البلاد، فضعفت القوى القومية، و صارت تندحر امام جنود الاستعمار، و في تلك الحال تعززت القوى الفرنسية بالعدة و العدد و امتها الى بلاد الثورة، فدخلت بلاد صور و استولت على دار السيد المشار اليه، و كان قد انتقل عنها الى «شحور» فانتهبتها و أتلفت مكتبته الثمينة نهبا و حرقا، و كان فيها ما يناهز العشرين مؤلفا له، كما ذكر ذلك هو في تعليقته على ص ٣٨ من كلمته الغراء و قد اشار سلمه الله تعالى الى تلك الثورة و هاتيك النكبة التي أصابته فيها، و ذكر مصنفاته التي تلفت و اسماءها – فلا حرمه الله من أجر الاستفادة بها – فقضت تلك السلطة الفرنسية على هاتيك الثورة قضاء نهائيا، و زحفت على جميع البلاد المحاربة و احتلتها، فاضطر السيد الى الفرار الى دمشق، و بعد سقوطها بيد القوة الفرنسية غادرها الى مصر، و لم يسمح له المستعمرون بالعودة الى بلاده الا بعد سنتين، و كانت تلك الثورة في عام الثورة العراقية على الانكليز و هو عام ١٣٣٨هـ و ١٩٢٠م.

و بعد ان احتلت الحكومة الفرنسية جبال عاملة، و سكنت الحال و هدأت البلاد ضموا الجبل الى لبنان فسمي «لبنان الكبير» و قاعدته «بيروت»، و أخذ شيعة الجبل و بعلبك حقوقهم من الوزارة و المجلس النيابي، كما صار لهم في كل بلد شيعي قاض و مفتي، و في قاعدة بيروت مجلس تمييز شرعي مؤلف من رئيس و عضوين، فالتشيع اليوم في لبنان الكبير سائر بكل نظام و هدوء محفوظ الحقوق مرعي الجانب.[13]

الهوامش:

١. قتل في ٩ جمادى الاولى عام ٧٨٥، قتل بالسيف ثم صلب ثم رجم ثم أحرق بدمشق في دولة بيدر و سلطنة برقوق بفتوى القاضي برهان الدين المالكي و عباد بن جماعة الشافعي بعد ما حبس سنة كاملة في قلعة الشام و في الحبس الف اللمعة الدمشقية في سبعة ايام و لم يكن يحضره من كتب الفقه غير المختصر النافع للمحقق الحلي طاب ثراه.

٢. ولد في ١٣ شوال عام ٩١١ و قتل عام ٩٦٦، و سبب قتله انه ترافع اليه رجلان فحكم لاحدهما على الآخر فغضب المحكوم عليه و سعى به عند قاضي صيدا فرفع امره الى السلطان في القسطنطينية، فطلبه ليناظر علماء أهل السنة فيطلع على مذهبه، فسار مع الرسول فقتله الرسول في الطريق في مكان من ساحل البحر و كان هناك جماعة من التركمان فرأوا في تلك الليلة أنوارا تنزل من السماء و تصعد، فدفنوه هناك و بنوا عليه قبة، و أما الرسول فحمل رأسه الى السلطان فانكر عليه فعله و قال: انما أمرتك ان تأتيني به حيا، ثم سعى السيد عبد الرحيم العباسي في قتل ذلك الرجل فقتله السلطان.

٣. ولد عام ٩٥٩، و مات عام ١٠١١.

٤. توفي عام ٩٣٧ و قد زاد عمره على السبعين عاما، و كان عضدا للشاه اسماعيل الاول الصفوي في خدمة مذهب آل محمد صلى الله عليه وآله و ترويجه.

٥. ولد في بعلبك عام ٩٥٢ و توفي عام ١٠٣٥، و كان من اعضاد الشاه عباس الاول الصفوي في ترويج مذهب أهل البيت عليهم السلام، و تلك عصور كانت الملوك فيها تهتم لخدمة الدين و حامليه و رجاله.

٦. لو ألقيت نظرة واحدة على كتاب «أمل الآمل في علماء جبل عامل» لعرفت كثرتهم و وفرتهم.

٧. اعتمدنا في هذا الفصل على ما نشره العلامة البحاثة الشيخ احمد رضا في «العرفان» ج ٢، ع ٦، ص ٢٨٦ فنقلناه بايجاز و تغيير يسيرين، بل اعتمدنا عليه في أكثر هذا العنوان جبل عامل بل ربما ننقل احيانا كلامه بنصه. و ان للعلامة المبرور اللغوي و الشاعر الكبير الشيخ علي السبيتي مقالا نشر في العرفان بعنوان «جبل عامل في قرنين» ذكر فيه عدة حوادث شاهدها أهل الجبل، و يشير اليها على نحو الايجاز، و منها بعض هذه الحوادث.

٨. تنقسم بلاد بشارة الى قسمين، بشارة الشمالية، و نهايتها في الشمال نهر الاولي شمالي صيدا، و يفصلها عن الجنوبية نهر الليطاني الذي يصب في البحر المتوسط شمالي صور، و بشارة الجنوبية، و نهايتها في الجنوب نهر القرن الجاري شمال طرشيحا، و جنوبي قرية الزيت و هي التي اشتهرت اكثر من اختها الشمالية بهذا الاسم، و كانت بلاد بشارة عموما تقسم الى ثمان مقاطعات، أربع في بشارة الجنوبية، و هي تبنين، و هونين و قانا، و معركة، و كان حكامها من آل الصغير، و قبلهم بنو شكر، و يتألف منهم قضاء صور و قضاء مرجعيون، و ثلاث في بشارة الشمالية و هي الشقيف، و الشوم، و التفاح المعروفة الآن بناحية جباع، و حكام الاولى منهن آل صعب و حكام الاخيرتين آل منكر، و يتألف من الثلاث قضاء صيدا، و الثامنة مقاطعة جزين، و كان حكامها المقدمون المعروفون بمقدمي جزين، العرفان، ج ٢، ع ٥، ص ٢٤٢ من مقال العلامة الشيخ احمد رضا.

٩. «العرفان»، ج ٢، ع ٧ ص، ٣٣٠ من مقال العلامة الشيخ أحمد رضا، و فيها ذكر بقية الاحداث فراجع.

١٠. «العرفان»، ج ٢،ع ٧، ص ٣٣٢ من مقال العلامة الشيخ احمد رضا.

١١. اما اليوم فقد نودي به ملكا على شرقي الاردن.

١٢. يقضي وقته الثمين كله بالدفاع عن الحق، امد الله في حياته، و لا يزال مع شيخوخته مكبا على التأليف و الاصلاح، فهو مجموعة فضائل، و خصاله الجميلة لا يبلغها الوصف

١٣. أما اليوم بعد أن خرجت فرنسا من البلاد، فالحال على ما كانت عليه قبل من اشتراك الشيعة في مجلسي الوزارة و النيابة، كما انهم مشتركون في ادارة البلاد و وظائفها داخلا و خارجا، و قد اجتمعت في عام توفيقي للحج و هو عام ١٣٦٥ بالقائم بالمفوضية اللبنانية في جده و هو شاب شيعي من بيت الزعامة الشيعية في الجبل و هو أسعد سهيل الاسعد فوجدته مثالا للاخلاق و كرم الطبع.

المصدر: مظفر، محمدحسين، «تاريخ الشيعة»، بيروت، دار الزهراء، ١٤٠٨هـ.ق.، صص ١٥٣–١٦٣.

المودة هدية إلهية للعائلة تضمن، مع الرحمة، استمرارية الحياة. المودة محبة عميقة و متجذرة تشمل الكائن كله وتظهر علاماتها في السلوك والكلام.

المودة مليئة بالحب، متجذرة ومميزة.

الأسرة في الواقع هي عش صغير من الحب وبنك للعاطفة.يجب أن يكون لدى جميع أفراد الأسرة استثمارات قصيرة وطويلة الأجل في هذا البنك، حيث يمكنهم تلقي ودفع قروض حب متنوعة من حسابهم الجاري.[١]

ففي «سورة الروم آية ٢١» نرى:

«وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ.»

و في قول اميرالمؤمنين عليه السلام: **«أنفع الكنوز محبة القلوب.»**[٢]

محبة الزوجين

كانت المحبة والحنان لأفراد الأسرة تنتشر في سلوك آل بيت النبي عليهم السلام واعتبره النبي صلى الله عليه وآله من علامات الإيمان...[٣]

و قد كان يعتبرالنبي صلى الله عليه وآله حب الزوجة من آداب الأنبياء،[٤] وكان يعتبر المزاح وممارسة الحب مع الزوجة لعباومزاحا جيدا ومتاعا للحياة.[٥]

يقول **جابر بن عبدالله**: فلما تزوجت سألني النبي صلى الله عليه وآله: **من تزوجت؟** قلت لأرملة.

قال: **لماذا لم تتزوج بفتاة دعابة، فتاة تحبك وتلعب معها وتحبها؟**[٦]

كان يوصى النبي صلى الله عليه وآله بحب الأزواج وإبلاغهم بهذه الصداقة والحب و كان يقول:

«قَوْلُ الرَّجُلِ لِلْمَرْأَةِ إِنِّي أُحِبُّكِ، لَا يَذْهَبُ مِنْ قَلْبِهَا أَبَداً.»[٧]

وكان يعتبر أن محبة الزوجين عبادة حلوة ورائعة و متفوقة على العالم كله ومافيه.[٨]

نعم، رَبُّ القلوب، بتوجهه الحقيقي نحو المواقف، يُعلم الإنسان أن ينظر إلى بيته وعائلته من زاوية الحب والرحمة.فإذا كان الأمر كذلك، في النهاية، سيأخذ كل مهمة على محمل الجد تجاه زوجته وأفراد أسرته الآخرين وسيجد أي نوع من الخدمة حلوة وممتعة.[٩]

الهوامش:

١. مرتضى آقاطهراني، «الأسرة و التربوية المهدوية»، ص ١٨٢.
٢. «غررالحكم و دررالكلم»، ص٤١٣، ح ٩٤١٩.
٣. علامه المجلسي، «بحارالأنوار»، ج ١٠٠، ص ٢٢٨.
٤. الشيخ الطوسي، «من لايحضره الفقيه»، ج ١، ص ٥٢.
٥. متقي الهندي، «كنز العمال»، ج ١٥، ص ٢١١.
٦. العجلوني، «كشف الخفاء»، ج ٢، ص ٣٣٢.
٧. شيخ الكليني، «الكافي»، ج ٥، ص ٥٦٩.
٨. قاضي نعمان، «دعائم الإسلام»، ج ٢، ص ١٩٠.
٩. مرتضى آقاطهراني، «الأسرة و التربوية المهدوية»، ص ١٨٢.

المصدر: الشبكة المرتجى؛ www.almortaja.com

تنــوّع الآيات امتحان للبصائري

ومن ذلك الظاهرة الواقعة في المسار العلمي لدى أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام بل حتى المذاهب الإسلامية الأخرى وهو ما يعرف بالنزعة الإخبارية والنزعة الأصولية _ ونحن لسنا هنا بصدد تصويب طرف دون طرف _ إلا أن هاتين الظاهرتين خلقت حالة توازن في النظرة العلمية، فأصحاب المسلك الإخباري كانت لديهم تحفظات وكذا المسلك الأصولي فخلق هذا نوعا من النضج في الرؤية المتكاملة وإن استهلكت جهودا وطاقات بل ربما فتن اجتماعية، وكذا أصحاب النظرة الفلسفية والكلامية والعرفانية والصوفية في قبال نظرة الفقهاء والمفسرين وما نجم عن ذلك من مطارحات ومصارعات فكرية شديدة، فقرون مرت كانت هذه التجاذبات مؤثرة في الفكر والرؤية ولكنها خلقت نظرة متوازنة محيطة ومجموعية وسطية، وولدت رؤى متكاملة لمجموع دلائل الدين كما ورد عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إن الدين متين فأغلوا (فأوغلوا) فيه برفق ولا تكرهوا عبادة الله إلى عباد الله، فتكونوا كالراكب المنبت الذي لا سفرا انقطع ولا ظهرا أبقى**»[1] فالدين بحر غير متناهي والايغال فيه بسرعة وبحدة ودون نظرة متوازنة متكاملة فيه خطورة وإضلال للبصيرة، كما أن الايغال فيه برفق مع وجود تلك الفتن والامتحانات يقوي وينضج البصائر. فالمعادلة المهمة جدا هي الاستفادة من الفتن والامتحانات والاختبارات الإلهية لزيادة الوعي والبصيرة وإعمال القواعد العقلية وتحكيمها ووضع الأمور في مواضعها، لئلا نقع في الضلال والزيغ.

تنوع الآيات امتحان للبصائر

لننظر تعبير القرآن الكريم في سورة آل عمران: «**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ**»[2] فإنه يصنف الآيات القرآنية إلى آيات لها أُمومة ومحورية ومركزية وأخرى متشابهات ليس لها أُمومة، فالذين في قلوبهم زيغ يتبعون ما تشابه منه، فذمهم القرآن لاتباعهم هذا، وهذا من بديع حكمة القرآن أن يذم اتباع الآيات التي أنزلها الله وحيا على نبيه لتكون قرآنا خالدا إلى يوم القيامة، ولكن ذلك لا لمطلق الاتباع بل لاتباع الآيات المتشابهة حيث جعلت لها الريادة والقيادة والأُمومة والمركزية، فإن جعل ذلك لها فيه إضلال، فإذا كان القرآن يذم اتباع تلك الآيات فماذا نتبع؟

نتبع «آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ» أم الكتاب أي أُمومة ومحورية الآيات المحكمات، وإلا فاتباع الصنف الداني دون اتباع الصنف العالي الذي له المحورية يضل الطريق والمنهاج، فالقرآن يقول بأن اتباع الآيات المتشابهة دون المحكمات يكون إضلالا.

وهذا منهج قرآني يبين لنا معادلة خطيرة وعظيمة، وهي أن منظومة الحجج منظمة في درجات وسلم هرمي يجب ألا يفقد الأعلى باتباع الأسفل، فيجب التمسك بالداني في ظل وهيمنة العالي، فإن اتباع الداني في غير هيمنة ما هو أعلى يكون إضلالا، لأن طبيعة القرآن عبارة عن حقيقة ومنظومة متماسكة وليست متشتتة ومبددة، وإن اتباع المتشابه دون الاستمساك بالمحكم تبديد لمنظومة وحقيقة القرآن الكريم، كما يقول عز من قائل في محكم كتابه الكريم «**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ**»[3] فالحفاظ على تلك المنظومة متماسكة هو إبقاء هيمنة ومحورية ما هو أقوى حجية على ما هو أضعف، فإن رايات الضلال والإضلال والزائفات والفرق المنحرفة تنشأ بسبب فقد البصيرة في هذه المعادلة المهمة، وهي أن الحجج ذات مراتب يجب حفظ محورية المحكمات والأُمهات ومراتب الدلائل.

ومن هذا الذم ذم النصارى واليهود في اتباعهم الحس مع أنه من مصادر اليقين البديهي، لأنهم اتبعوا الداني وتركوا ما هو أعلى وهو الاعجاز الذي بينه القرآن الكريم على يد النبي عيسى عليه السلام حيث أخبرهم أنه سيبقى حيا ويكون وزيرا وتابعا للإمام الثاني عشر الخليفة والوصي لخاتم الأنبياء، فتركوا ما هو أكثر برهانية ويقينا ودلالة واتبعوا ما هو أضعف يقينا، ومما يشهد لتراتبية الحجج ما نلمسه ونشاهده من إعداد وتعبئة للقاعدة الجماهيرية المهدوية من خلال تجنيد الكوادر الأيمانية الملتهبة والمتلهفة في مسار أهل البيت لا ما روي فقط من أن الإمام المهدي عجل الله فرجه هو الذي ينصر الإمام الحسين عليه السلام، فإن سيد الشهداء عليه السلام كما روي أيضا هو السفينة الأوسع والأسرع في لجج البحار وهداية القاعدة الجماهيرية لتحقيق دولة العدل الإلهية دولة ابنه الإمام المهدي عجل الله فرجه، هذا التجنيد الحسيني للبشر في كل مكان وحتى من غير المسلمين تهوى قلوبهم انعطافا وانجذابا لقضية سيد الشهداء، ولهذا فإن التألؤ الشفاف والجمال لسيد الشهداء عليه السلام هو الذي يعد العدة لابنه وهو الذي ينصره.

الهوامش:

١. المولى المازندراني، «شرح أصول الكافي»، ج ٨، ص ٢٧١، باب الاقتصاد في العبادة.
٢. سورة آل عمران، الآية ٧.
٣. سورة البقرة، الآية ٨٥.

المصدر: الشيخ محمد السند، «دعوى السفارة في الغيبة الكبرى»، إعداد وتحقيق: مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عجل الله فرجه.

علي منتظر القائم

مفهوم الغيبة و اساسها القسم الثاني

٤ . حكمة الغيبة وفلسفتها

في روايات المعصومين عليهم السلام وأقوال كبار علماء الشيعة، ورد ذكر مواضيع مختلفة مثل حكمة غيبة إمام الزمان عجل الله فرجه و الفلسفة الكامنة وراءها وسببها، وهنا نذكر بعضاً من أهمها:

إن معظم الأشياء التي ورد ذكرها في الروايات كسبب للغيبة تدل على فوائد الغيبة وآثارها ونتائجها، وليس السبب بالمعنى الاصطلاحي أن وجود العلة يدل على وجود المعلول وغيابها يعني غياب المعلول. لذلك، على الرغم من زوال بعض أو حتى كل هذه الأسباب، فإن استمرار الغيبة أمر ممكن. ولهذا جاء في بعض الروايات أن الغيبة من أسرار الله، وأن هذا السر سيبقى بلا حل حتى ظهوره المهدي المنتظر عجل الله فرجه ويكتب **آية الله صافي كلبايكاني**، أحد أصحاب الرأي في مجال المهدوية، في هذا الصدد:

إن ما يجب أن نقوله عن أسرار الغيبة مرتبط في الغالب بفوائدها وآثارها، لكن السبب الرئيسي غير معروف لنا. وهذا معنى الأحاديث الشريفة التي جاء فيها أن سر الغيبة لا ينكشف إلا بعد الظهور.

أ) المحافظة على حياة خاتم الأئمة عليهم السلام

وفقاً لبعض الروايات، يمكن القول إن الحكمة والفلسفة الكامنة وراء الغيبة هي حماية خاتم الأئمة من مكائد الأعداء. وقد روى **الشيخ صدوق** في كتابه «كمال الدين وتمام النعمة» عدة روايات في هذا السياق، نذكر منها أنه عندما سأل الراوي الإمام الصادق عليه السلام عن سبب غياب إمام الزمان عجل الله فرجه قال: «**يَخافُ عَلى نَفسِهِ الذَّبحَ**[1]». كما يروي **النعماني** في كتابه عدة روايات بنفس الموضوع عن أسباب غياب إمام الزمان عجل الله فرجه[2].

إذا قبلنا أن الأسباب أو الفلسفة الكامنة وراء غيبة الإمام المهدي عليه السلام هي خشية تعرضه للقتل، فإن السؤال الذي يطرح نفسه هو أنه إذا كان الأئمة الآخرون أيضاً معرضين لخطر القتل على يد طغاة عصرهم، فلماذا لم يعمدوا إلى الغيبة والحياة الخفية؟

رداً على هذا السؤال نذكر نقطتين اثنتين: بادئ ذي بدء، اتبع أئمة الشيعة عليهم السلام الآخرون عادة طريق التقية والمداراة تجاه الطواغيت في عصرهم، وتجنبوا معارضتهم علانية قدر الإمكان. لهذا السبب، وجد الخلفاء المستبدون ذرائع أقل لمهاجمتهم، ولكن وفقاً لما ورد في الروايات، فإن حياة الإمام المهدي عجل الله فرجه وأسلوبه مختلفة تماماً، وتم تكليفه بالانتفاضة المسلحة ضد الظالمين والطواغيت. كان أعداء أهل البيت يدركون جيداً هذه النقطة أيضاً[3]. من الواضح أنه بهذه الطريقة، لن يتسامح الأعداء أبداً مع وجوده وسيسعون إلى تدميره.

والشيء الآخر أنه على ما ورد في روايات المعصومين عليهم السلام فإن الإمام المهدي عجل الله فرجه هو آخر حجج الله، وإذا قتل لا سمح الله فلا بديل عنه. على عكس الأئمة الآخرين، كلما استشهد أحدهم، كان يحل محله إمام آخر في وقت قصير.[4]

ب) عدم مبايعة الظالمين

وقد جاء في بعض الروايات أن الإمام المهدي عجل الله فرجه في غيبة لعدم رغبته في أن يبايع الحكام عند ظهوره على عكس أسلافه. في الرواية التي ينقلها **الشيخ صدوق** في كتاب كمال الدين عن الإمام الرضا عليه السلام رداً على سؤال وُجه إليه: لماذا اختفى الإمام المهدي عجل الله فرجه عن شيعته؟ «**لِئَلاّ يَكُونَ لِأَحَدٍ في عُنُقِهِ بَيْعَةٌ إذا قامَ بِالسَّيْفِ**»[5]

وقد ورد هذا الموضوع أيضاً في التوقيع الصادر من الإمام المهدي عجل الله فرجه، حيث يقول:

«**إنَّهُ لَمْ يَكُن لِأَحَدٍ مِن آبائي: إلاّ وَ قَد وَقَعَتْ في عُنُقِهِ بَيعَةٌ لِطاغِيَةِ زَمانِهِ وَ إنّي أَخرُجُ حينَ أَخرُجُ وَ لا بَيعَةَ لِأَحِدٍ مِنَ الطَّواغِيتِ في عُنُقي.... »**[6]

ج) التقيد بسنن الأنبياء السابقين

ينقل الشيخ الصدوق في باب علة الغيبة من كتاب كمال الدين وتمام النعمة رواية يستفاد منها أن الله تعالى فرض الغيبة على إمام الزمان عجل الله فرجه لأنه أراد أن يطبق[7] سنن الأنبياء على آخر حججه. وفي هذا الرواية يروي **سدير** عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إنَّ لِلْقائِمِ مِنّا غَيْبَةً يَطُولُ أَمَدُها. فَقُلْتُ لَهُ: يا ابنَ رَسُولِ اللهِ وَ لِمَ ذلِكَ؟ قالَ: لِأَنَّ اللهَ عَزَّ وَ جَلَّ أَبى إلاّ أَنْ تَجْرِيَ فِيهِ سُنَنَ الأَنْبِياءِ: فِي غَيْباتِهِمْ وَ إنَّهُ لابُدَّ لَهُ يا سَدِيرُ مِنْ إستِيفاءِ مُدَدِ غَيباتِهِمْ. قالَ اللهُ تَعالى: «لَتَرْكَبُنَّ طَبَقا عَنْ طَبَقٍ.» أَيْ سُنَنَ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ**»[8] وبناءً على هذه الرواية يمكن القول: بما أن إحدى السنن الشائعة بين الأنبياء السابقين كانت الغيبة، فينبغي أيضاً أن يغيب الإمام المهدي عجل الله فرجه حتى تتحقق الوصية الإلهية المبنية على تطبيق سنن الأنبياء السابقين في رسالته.

ويقال أن العديد من أنبياء الله غابوا في عصرهم مرة أو مرات ومنهم **إدريس ونوح وصالح وإبراهيم ويوسف وموسى وشعيب وإلياس وسليمان ودانيال ولوط وعزيز وعيسى** عليهم السلام.[9]

د) امتحان الناس

وقد ورد في بعض الروايات أن غيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه اختبار إلهي يميز من خلاله الله بين المؤمنين الصادقين والراسخين والمسلمين المتراخين. ومن هذه الروايات رواية عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام حيث يقول:

«**إذا فُقِدَ الخامِسُ مِنْ وُلْدِ السابِعِ فَاللهَ فَاللهَ في أَدْيانِكُمْ لا يُزِيلَنَّكُم أَحَدٌ عَنْها، يا بَنِيَّ! إنَّهُ لابُدَّ لِصاحِبِ هذَا الأَمْرِ مِنْ غَيْبَةٍ حتّى يَرْجِعَ عَنْ هذَا الأَمْرِ مَنْ كانَ يَقُولُ بِه، إنَّما هِيَ مِحْنَةٌ مِنَ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ إمْتَحَنَ بِها خَلْقَهُ....**»[10]

وجاء في رواية نقلت عن الإمام علي عليه السلام في هذا الشأن:

«**أَما وَ اللهِ لَأُقْتَلَنَّ أَنَا وَ ابناىَ هذانِ وَ لَيَبْعَثَنَّ اللهُ رَجُلاً مِنْ وُلْدي في آخِرِالزَّمانِ يُطالِبُ بِدِمائِنا وَ لَيَغِيبَنَّ عَنهُمْ تَمْيِيزا لِأَهْلِ الضَّلالَةِ حَتّى يَقُولُ الْجاهِلُ: ما لِلّهِ في آلِ مُحَمَّدٍ مِنْ حاجَةٍ.**»[11]

يقول الإمام الحسين عليه السلام في رواية، وهو يتنبأ بغيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه، أنه في هذا الغياب سترتد جماعة عن الدين وستبقى جماعة ثابتة عليه. يمكن أن تكون عبارة الإمام الحسين عليه السلام دليلاً على غياب الإمام الثاني عشر عليه السلام. نص الرواية على النحو التالي:

«**لَهُ غَيْبَةٌ يَرْتَدُّ فِيها أَقْوامٌ وَ يُثَبِّتُ فِيها عَلَى الدِّينِ آخَرُونَ فَيُؤْذَونَ وَ يُقالُ لَهُمْ: «مَتى هذَا الْوَعْدُ إنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ.»**[12] **أما إنَّ الصّابِرَ فِي غَيْبَتِهِ عَلَى الأَذىَ وَ التَّكْذِيبِ بِمَنْزِلَةِ الْمُجاهِدِ بِالسَّيْفِ بَيْنَ يَدَي رَسُولِ اللهِ**»[13]

وروي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال بحضور جماعة من أصحابه كانوا على ما يبدو يناقشون قيام الحكومة الصحيحة وقيام إمام ينهي عناء الشيعة:

«**فِي أَيِّ شيءٍ أَنْتُمْ. هَيْهاتَ هَيهاتَ لا وَ اللهِ لايَكُونُ ماتَمُدُّونَ إلَيهِ أَعْيُنُكُمْ حَتّى تَغَرْبَلُوا، لا وَ اللهِ لايَكُونُ ماتَمُدُّونَ إلَيْهِ أَعْيُنُكُمْ حَتّى تَمَحَّصُوا لا وَ اللهِ لايَكونُ ما تَمُدُّونَ إلَيْهِ أَعْيُنُكُمْ حَتّى تَمَيَّزُوا لا وَ اللهِ ما يَكُونُ ما تَمُدُّونَ إلَيْهِ أَعْيُنُكُمْ إلاّ بَعْدَ إياسٍ، لا وَ اللهِ لايَكُونُ ما تَمُدُّونَ إلَيْهِ أَعْيُنُكُمْ حَتّى يَشْقى مَنْ يَشْقِي وَ يَسْعَدُ مَنْ يَسْعَدُ.**»[14]

ويقال أن **النعماني**، أثناء تفحص روايات غيبة إمام زمان عجل الله فرجه، بعد تعريفه الغيبة الكبرى، يعتبر أن فلسفة الغيبة امتحان للناس، ويشير إلى آية من القرآن و الغيبة الثانية هي التي ارتفع فيها أشخاص السفراء و الوسائط للأمر الذي يريده الله تعالى و التدبير الذي يمضيه في الخلق و لوقوع التمحيص و الامتحان و البلبلة و الغربلة و التصفية على من يدعي هذا الأمر كما قال الله عز و جل – ما كانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلى ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ[15] – و هذا زمان ذلك قد حضر جعلنا الله فيه من الثابتين على الحق و ممن لا يخرج في غربال الفتنة.[16]

ويرى بعض علماء الشيعة أن الروايات التي يُذكر فيها اختبار الناس في زمن الغيبة ليس لها سوى جانب إخباري ولا تشير إلا إلى الصعوبات والمشقات التي يتعرض لها الشيعة في زمن الغيبة، لأننا إذا قبلنا أن الله تعالى أراد أن يمتحن الناس بغياب الإمام عجل الله فرجه، فلا بد من قبول الظلم الذي يلحق بالمؤمنين من قبل الظالمين أثناء الغيبة.

و أما ما روي من الأخبار من امتحان الشيعة في حال الغيبة و صعوبة الأمر عليهم و اختبارهم للصبر عليه فالوجه فيها الإخبار عما يتفق من ذلك من الصعوبة و المشاق لا أن الله تعالى غيب الإمام ليكون ذلك و كيف يريد الله ذلك و ما ينال المؤمنين من جهة الظالمين ظلم منهم لهم و معصية و الله تعالى لا يريد ذلك. بل سبب الغيبة هو الخوف على ما قلناه.[١٧] ورفض بعض العلماء هذا الإشكال للشيخ الطوسي، وكتبوا رداً على ذلك:

لا يرضى الله أبداً بالظلم الذي يفرضه الظالمون على المؤمنين، ولم يكتبه لهم لا تكويناً ولا شرعاً. لم يكتبه تكويناً، لأن ظلم الظالمين يتم باختيارهم وحريتهم، والله لا يفرض إرادته على عمل اختياري لأي إنسان ؛ لأنه إذا فعل ذلك، فإن الجبر لازم والله أكثر عدلاً من إجبار شخص على فعل شيء ثم إدانته ومعاقبته على فعله. من ناحية أخرى، فإن مشيئة الله التشريعية هي أيضاً بالضبط ضد الظلم، لأن الوصية التشريعية أمر ونهي إلهي، وقد حرم الله على الظالمين الظلم. لذلك، ليس لدى الله مشيئة (لا تكوينية ولا تشريعية) فيما يتعلق بظلم الظالمين ضد المؤمنين. ولكن بما أن الله يختبر الإنسان المختار، فمن اللازم أن يكونوا قادرين على الظلم، وإذا لم يمنع الله تعالى ظلم الظالمين، فإنه لم يخالف عدله وحكمته. لذلك، فإن عدم منع حدوث الظلم – بسبب الاختبار أو أي حكمة أخرى – لا يعني أنه مشيئة الله.[١٨]

هـ) ظلم البشر

يبدو من بعض الروايات أن سبب أو فلسفة الغيبة كان ظلم البشر. وجاء في رواية نقلت عن الإمام علي عليه السلام في هذا الشأن: **«وَ اعْلَمُوا أَنَّ الْأَرْضَ لاتَخْلُو مِنْ حُجَّةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَلكِنَّ اللهَ سَيُعْمِي خَلْقَهُ عَنْها بِظُلْمِهِم وَجَوْرِهِمْ وَ إسْرافِهِمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ.»**[١٩] هذا الموضوع مسلم به لكل باحث في تاريخ حياة الأئمة الشيعة الاثني عشر عليهم السلام، وكلما ابتعدنا عن عهد الإمام علي عليه السلام، قلت مشاركة الأئمة المعصومين عليهم السلام في سياق أحداث المجتمع. إن ضغوط وتهديدات الخلفاء من جهة وعدم كفاءة الناس في ذلك الوقت من جهة أخرى تتسبب في تناقص عدد الصحابة المخلصين حول الأئمة عليهم السلام يوما بعد يوم ونتيجة لذلك يشعرون بالعزلة والغربة. بمعنى آخر، فقد المجتمع الإسلامي قدرته على قبول الإمام المعصوم عليه السلام يوماً بعد يوم، إلى أن اقتربنا من عصر الغيبة، حيث تراجع التواصل المباشر للأئمة عليهم السلام مع الناس وتواجدهم العملي في المجتمع.

تتجلى هذه النقطة في حياة الإمامين الهادي والإمام العسكري عليهما السلام قبل حوالي ثلاثين عاماً من ولادة الإمام المهدي عجل الله فرجه، قلل الإمام هادي عليه السلام تدريجياً من تواصله مع الناس في عصره ولم يتواصل إلا بعدد قليل من خواص أصحابه. وفي عهده، كان الإمام العسكري عليه السلام يتواصل مع أصحابه في الغالب عن طريق كتابة الرسائل، وقام بحل العديد من شؤون الشيعة من خلال نوابه، ونادراً ما واجههم بشكل مباشر. بالطبع، قد يكون من الممكن تفسير طريقة الحياة هذه من جانب هذين الإمامين الكريمين عليهما السلام على أنه عمل في اتجاه تمهيد الطريق لغيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه، ولكن مع مراعاة الظروف العامة للمجتمع الإسلامي في في ذلك الوقت، حقيقة أنهم كانوا في عزلة وغربة بسبب عدم كفاءة الناس في ذلك الوقت، وليس بعيداً عن العقل أنهم عاشوا في الغربة والوحدة.

ولإيضاح هذه المسألة نشير إلى عبارة **المسعودي** في إثبات الوصية التي نقلناها سابقاً وجاء فيها: **لقد اختفى الإمام هادي عليه السلام عن كثير من الشيعة وباستثناء عدد قليل من أصحابه الخواص، لم يره أحد، كما تحدث الإمام الحسن العسكري عليه السلام إلى أصحابه الخواص وكذلك إلى الناس العاديين من وراء الستار إلا عندما كان يخرج من المنزل متوجهاً إلى دار الخلافة.**[٢٠]

طبعا وصف بعض المؤرخين كلام المسعودي بالمبالغ فيه[٢١] ولكن بشكل عام يمكن الاستشهاد به ومقارنته الوثائق التاريخية الأخرى لنستنتج بأن علاقة الإمام هادي والإمام العسكري عليهما السلام بالمجتمع تقلصت بشكل كبير وأن الإمامين عليهما السلام لم يكونا مثل أسلافهما من الأئمة ولم يكن لهم تواصل كبير مع بالناس.

لذلك يمكن القول أن هناك علاقة متبادلة بين القدرات والمزايا المتأصلة لدى الناس لقبول الإمام المعصوم عليه السلام ومستوى حضور الإمام في المجتمع، وبقدر ما يفقد المجتمع مزاياه ويبتعد عن قيمه الإلهية، فإن المعصوم الذي يعتبر من تجليات رحمة الله ينأى بنفسه

عن المجتمع ويقلل من وجوده فيه، لأن رحمة الله تنزل على المكان الذي يستحق الرحمة.جاء في القرآن الكريم:

ذلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعمَةً أَنعَمَها عَلى قَومٍ حَتّى يُغَيِّرُوْا ما بِأَنفُسِهِم....[٢٢] وبعبارة أخرى، تنطبق القاعدة المذكورة التي نص عليها القرآن الكريم. فلما تغير المجتمع الإسلامي وتغير المسلمون داخليا وفقدوا قيمهم الإلهية، حرمهم الله من نعمة وجود الإمام المعصوم عليه السلام، وهو من أعظم النعم الإلهية، وابتعد الإمام عن الناس. ودليل هذا القول رواية عن الإمام الباقر عليه السلام حيث يقول: **«إذا غَضِبَ اللهُ تَبارَكَ وَ تَعالى عَلى خَلقِهِ، نَحّانا عَن جَوارِهِم.»**[٢٣] ويقول عليه السلام كذلك: **«انَّ اللهَ إذا كَرِهَ لَنا جَوارَ قَوْمٍ نَزَعْنا مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ.»**[٢٤]

أتمنى أن يدرك الناس الخسارة الفادحة التي عانوا منها لغياب المعصومين عليهم السلام من بينهم، وليستعدوا مرة أخرى لقبول نعمة الله العظيمة؛ أي استمرار وجود الإمام المعصوم عليه السلام في المجتمع.

و) عدم وجود الصحابة المخلصين للإمام

ووردت روايات عديدة عن استمرار غيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه وعدم ظهوره لقلة الصحابة المخلصين بالعدد المطلوب. أي أن هناك ثلاثمائة وثلاثة عشر شخصاً كما نقل عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام. وفي هذا الرواية يخاطب أحد أصحابه فيقول:

«يَابنَ بُكَيرٍ إنّي لَأقُولُ لَكَ قَولاً قَد كانَتْ آبائي: يَقُولُهُ: لَو كانَ فِيكُمْ عِدَّةَ أَهلِ بَدرٍ لَقامَ قائِمُنا....»[٢٥]

كما يستخلص هذا الموضوع من رواية نقلها النعماني في كتابه عن الإمام الصادق عليه السلام:

«أَنَّهُ دَخَلَ عَلَيْه بَعضُ أَصحابِهِ فَقالَ لَهُ: جُعِلتُ فِداكَ إنّي وَ اللهِ أحِبُّكَ وَ أُحِبُّ مَن يُحِبُّكَ يا سَيِّدِي، ما أَكثرَ شَيعَتَكُم، فَقالَ لَهُ: أُذْكُرْهُم، فَقالَ كَثيرٌ، فَقالَ: تُحصِيهِم! فَقالَ: هُم أَكثرُ مِن ذلِكَ، فَقالَ أَبُوعَبدِاللهِ عليه السلام: اَما لَو كَمُلَتِ العِدَّةُ المَوصُوفَةُ ثَلاثُمِائَةٍ وَ بِضعَةَ عَشَرَ كانَ الَّذِي تُرِيدُونَ....»[٢٦]

ويقول الإمام الجواد عليه السلام في رواية بعد تقديم قائم آل محمد عجل الله فرجه: في هذا الصدد، يعلن أن توافر عدد معين من الأصحاب (ثلاثمائة وثلاثة عشر شخصاً) هو شرط لتحقق الظهور. ومن الممكن أيضاً أن يستفاد من هذه الرواية بأن استمرار الغيبة يرجع إلى عدم وجود العدد المطلوب من الأصحاب المخلصين:

«هُوَ الَّذِي تُطْوى لَهُ الأَرْضُ وَ يَذِلُّ لَهُ كُلُّ صَعْبٍ [وَ] يَجْتَمِعُ إلَيْهِ مِنْ أَصْحابِهِ عِدَّةُ أَهْلِ بَدْرٍ: ثَلاثُمِائَةٍ وَ ثَلاثَةَ عَشَرَ رَجُلاً مِنْ أَقاصِي الأَرْضِ وَ ذلِكَ قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ: «أَيْنَ ما تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعا إنَّ اللهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ.»[٢٧] **فَإذا اجْتَمَعَتْ لَهُ هذِهِ العِدَّةُ مِنْ أَهْلِ الإخْلاصِ أَظْهَرَ اللهُ أَمْرَهُ فَإذا كَمُلَ لَهُ الْعِقْدُ وَ هُوَ عَشَرَةُ آلافِ رَجُلٍ خَرَجَ بِإذْنِ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ.»**[٢٨]

وتجدر الإشارة إلى أن **الشيخ المفيد** أكد في إحدى رسائله أن عدم توافر العدد المطلوب من الصحابة المختارين هو من أسباب استمرار الغيبة. يقول:

حضرت مجلس رئيس من الرؤساء فجرى كلام في الإمامة فانتهى إلى القول في الغيبة.

فقال صاحب المجلس أ ليست الشيعة تروي عن جعفر بن محمد عليه السلام أنه لو اجتمع على الإمام عليه السلام عدة أهل بدر ثلاثمائة و بضعة عشر رجلا لوجب عليه الخروج بالسيف فقلت قد روي هذا الحديث. قال أ و لسنا نعلم يقينا أن الشيعة في هذا الوقت أضعاف عدة أهل بدر فكيف يجوز للإمام الغيبة مع الرواية التي ذكرناها.

فقلت له إن الشيعة و إن كانت في وقتنا كثيرا عددها حتى تزيد على عدة أهل بدر أضعاف مضاعفة فإن الجماعة التي عدتهم عدة أهل بدر إذا اجتمعت فلم يسع الإمام التقية و وجب عليه الظهور لم تجتمع في هذا الوقت و لا حصلت في هذا الزمان بصفتها و شروطها و ذلك أنه يجب أن يكون هؤلاء القوم معلوم من حالهم الشجاعة و الصبر على اللقاء و الإخلاص في الجهاد و إيثار الآخرة على الدنيا و نقاء السرائر من العيوب و صحة العقول و أنهم لا يهنون و لا ينتظرون عند اللقاء و يكون العلم من الله تعالى بعموم المصلحة في ظهورهم بالسيف و ليس كل الشيعة بهذه الصفة و لو علم الله تعالى أن في جملتهم العدد المذكور على ما شرطناه لظهر الإمام لا محالة و لم يغب بعد اجتماعهم طرفة عين لكن المعلوم خلاف ما وصفناه فلذلك ساغ للإمام الغيبة على ما ذكرناه.[٢٩]

ز) عدم استعداد المجتمع البشري

يذكر الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف في أحد توقيعاته شيئاً يمكن استخلاصه منه وهو أن سبب استمرار الغيبة هو عدم استعداد المجتمعات البشرية عموماً والمجتمعات الشيعية على وجه الخصوص. يقول عجل الله فرجه الشريف:

«لَو أَنَّ أَشياعَنا، وَفَّقَهُمُ اللهُ لِطاعَتِهِ، عَلَى اجتِماعٍ مِن القُلُوبِ فِي الوَفاءِ بِالعَهدِ عَلَيهِم، لَما تَأَخَّرَ عَنهُمُ اليُمنُ بِلِقائِنا وَ لَتَعَجَّلَتْ لَهُمُ السَّعادَةُ بِمُشاهَدَتِنا عَلَى حَقِّ المَعرِفَةِ وَ صِدْقِها مِنهُم بِنا.»[30]

كما أكد بعض كبار الفقهاء والخطباء الشيعة أن سبب الغيبة هو عدم استعداد المجتمعات البشرية للظهور، بما في ذلك **الشيخ الطوسي وخواجه نصير الدين الطوسي**.

عند الحديث عن الحكمة الكامنة وراء الغيبة وسببها، يشرح الشيخ الطوسي وجهة نظره في هذا المجال أولاً، وبعد مناقشات وأبحاث مفصلة يقول:

أنه سبب لغيبة الإمام هو خوفه على نفسه بالقتل بإخافة الظالمين إياه و منعهم إياه من التصرف فيما جعل إليه التدبير و التصرف فيه فإذا حيل بينه و بين مراده سقط فرض القيام بالإمامة و إذا خاف على نفسه وجبت غيبته و لزم استتاره كما استتر النبي صلى الله عليه وآله تارة في الشعب و أخرى في الغار و لا وجه لذلك إلا الخوف من المضّارِ الواصلة إليه.[31] ورداً على الإشكالات التي يمكن أن توجه لمقارنة غياب نبي الإسلام صلى الله عليه وآله بغياب إمام الزمان عجل الله فرجه الشريف، يقول:

إن في الجملة يجب على الله تعالى تقوية يد الإمام بما يتمكن معه من القيام و يبسط يده و يمكن ذلك بالملائكة و بالبشر فإذا لم يفعله بالملائكة علمنا أنه لأجل أنه تعلق به مفسدة فوجب أن يكون متعلقا بالبشر فإذا لم يفعلوه أتوا من قبل نفوسهم لا من قبله تعالى فيبطل بهذا التحرير جميع ما يورد من هذا الجنس و إذا جاز في النبي صلى الله عليه وآله أن يستتر مع الحاجة إليه لخوف الضرر و كانت التبعة في ذلك لازمة لمخيفيه و محوجية إلى الغيبة فكذلك غيبة الإمام سواء.[32]

من بيان الشيخ الطوسي هذا يتضح أن السبب الرئيسي لاستمرار الغيبة هو حقيقة أن الناس لم يمهدوا الطريق لظهوره. يقول خواجه نصير الدين الطوسي أيضاً في هذا السياق:

الإمامُ لُطْفٌ فَيَجِبُ نَصْبُهُ عَلَى اللهِ تَعالى تَخْصِيلاً لِلْغَرَضِ... وَ وُجُودُهُ لُطْفٌ وَ تَصَرُّفُهُ لُطْفٌ آخَرُ وَ عَدَمُهُ مِنّا.[33]

يقول شارح «تجريد الإعتقاد» في شرح هذا الكلام:

يقول خواجه: وعدمه منا يعني عدم تصرف الإمام عليه السلام من جانبنا ؛ لأنه نعمة من الله تعالى أن يعين الإمام عليه السلام، وعلى الملكفين أن يعرِّف كل منهم الآخرين عليه ويخبرهم بأدلة الإمامة، دون أن يمنع أحد نشر أقواله وتعليمها، وهذه الأمور التي كانت واجبة على الناس ولم يفعلوها، جعلته لا يتصرف. مثل أن الله تعالى أعطى اليدين والقدمين والعينين والأذنين للإنسان ليعيش، وعلم أن الطاغية سيقيد يديه وقدميه ويمنعه من الرؤية والسمع، لكنه لم يتردد في إعطائه يديه وقدميه وعينيه وآذانه.

ح) سر من أسرار الله

وغني عن البيان أن بعض الروايات اعتبرت حكمة الغيبة سراً من أسرار الله، ولن يكتشف إلا بعد الظهور. روي عن الإمام الصادق عليه السلام:

«وَجْهُ الحِكمَةِ فِي غَيْبَتِهِ وَجْهُ الحِكْمَةِ فِي غَيْباتِ مَنْ تَقَدَّمَهُ مِنْ حُجَجِ اللهِ تَعالى ذِكْرُهُ، إنَّ وَجْهَ الحِكْمَةِ فِي ذلِكَ لايَنْكَشِفُ إلاّ بَعْدَ ظُهُورِهِ كَما لَمْيَنكَشِفْ وَجْهُ الحِكْمَةِ فيما أتاهُ الخِضْرُ عليه السلام مِنْ خَرْقِ السَّفِينَةِ، وَ قَتْلِ الغُلامِ وَ إقامَةِ الجِدارِ لِمُوسى عليه السلام إلى وقتِ افْتِراقِهِما. يا ابنَ الفَضْلِ! إنَّ هذا الأَمْرَ أَمْرٌ مِنَ [أَمرِ] اللهِ تَعالى، و سِرٌّ مِنْ سِرِّ اللهِ، و غَيبٌ مِنْ غَيْبِ اللهِ.... »

في ختام موضوع حكمة وفلسفة غيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، نود أن نذكر بنقاط سبع:

١. بالنظر إلى الأسباب والعوامل المختلفة التي وردت في روايات المعصومين عليهم السلام وأقوال كبار علماء الشيعة عن غياب الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، فلا يمكن إبداء رأي محدد حول السبب الرئيسي للغيبة، و ربما يمكن القول أن مجموعة من هذه الأسباب والعوامل هي التي أرست الأساس لبداية الغيبة واستمراريتها.

٢. إن أهم نقطة يجب أخذها في الاعتبار عند التحقيق في أسباب وعوامل الغيبة هو ما إذا كان أهل عصر الأئمة المعصومين عليهم السلام: وفيما إذا لعبت العصور التالية دوراً في توفير أسباب الغيبة واستمرارها أم لا. ولشرح هذه المسألة أثر كبير على النظريات المتعلقة بظهور إمام الزمان عجل الله فرجه الشريف، وبناءً على ذلك يمكن التعليق على دور الناس في التمهد لظهوره وتوفير الاستعدادات له.[35]

انطلاقا من وجهة النظر التي تعتبر سبب الغيبة أو فلسفتها استبداد البشر، أو عدم وجود أصحاب مخلصين للإمام عليه السلام، أو عدم جاهزية المجتمعات البشرية، فمن الواضح أنه من الممكن أخذ دور الناس بعين الاعتبار في تأخير ظهوره وتحققه والقول بأن ظهور الإمام المعصوم عليه السلام في المجتمع مشروط بسير الناس على طريق الصلاح؛ للتعويض عن الظلم الذي وقع بحق الأئمة المعصومين عليهم السلام، وعليهم أن يؤدوا واجباتهم ومسؤولياتهم تجاه إمام الزمان عجل الله فرجه الشريف وأن يمهدوا الطريق لعودة الإمام إلى المجتمع من خلال القيام بأنشطة ثقافية واجتماعية.حتى أنه بناءً على وجهة النظر التي تعتبر سبب الغيبة هو اختبار الناس، يمكن الوصول إلى النتائج المذكورة أعلاه ؛ لأنه إذا فهم الناس بشكل صحيح أن الغيبة اختبار كبير بالنسبة لهم، فسيحاولون أن يفخروا بهذا الاختبار، وسيكون هذا هو الأساس للظهور.

الهوامش:

١. المفيد، «كمال الدين وتمام النعمة»، ج ٢، باب ٤٢، ص ٤٨١، ح ١٠.
٢. الطوسي، «الغيبة»، صص ١٧٦ و ١٧٧.
٣. الحر العاملي، «إثبات الهداة»، ج ٥، ص ١٩٧، ح ٦٨٥؛ التاريخ السياسي لعصر غيبة الإمام الثاني عشر، صص١٢٣ . ١٢٥.
٤. الطوسي، «الغيبة»، صص ٩٢ و ٩٣.
٥. المفيد، «كمال الدين وتمام النعمة»، باب ٤٤، ص ٤٨٠، ح ٤.
٦. المفيد، «كمال الدين وتمام النعمة»، ص ٤٨٥، ح٤
٧. سوره الانشقاق، آية ١٩.
٨. المفيد، «كمال الدين وتمام النعمة»، ج ٢، باب ٤٤، صص ٤٨٠ و ٤٨١، ح ٦.
٩. المفيد، «كمال الدين وتمام النعمة»، ج ١، باب ٧.١، صص ١٢٧-١٥٩.
١٠. المفيد، «كمال الدين وتمام النعمة»، باب ٣٤، صص ٣٥٩ و ٣٦٠، ح ١.
١١. النعماني، «الغيبة»، ص ١٤١، باب ١٠، ح ١.
١٢. سورة يونس، آية ٤٨.
١٣. المفيد، «كمال الدين وتمام النعمة»، ج ١، باب ٣٠، ص ٣١٧، ح ٣؛ المجلسي، «بحار الأنوار»، ج ٥١، ص ١٣٣.
١٤.المفيد «الكافي»، ج ١، صص ٣٧٠ و ٣٧١، ح ٦؛ النعماني، «الغيبة»، صص ٢٠٨ و ٢٠٩، ح ١٦ (باختلاف ضئيل).
١٥. سوره آل عمران، آية ١٧٩.
١٦. النعماني، «الغيبة»، باب ١٠، ص ١٧٤.
١٧. الطوسي، «الغيبة»، ص ٣٣٥.
١٨. سيد محمد بني هاشمي، «السر المخفي ورمز الظهور»، الطبع الاول: طهران، نيك معارف، ٢٠٠٥، صص ٢٣٦و٢٣٧.
١٩. النعماني، «الغيبة»، ص ١٤١، ح ٢.
٢٠. الشيخ عباس القمي، «إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام»، ص٤٢٧٢؛ «منتهى الآمال»، قم، مؤسسة هجرت للطباعة والنشر، ١٩٩٤، ج ٢، ص ٥٦٥.
٢١. «تاريخ الغيبة الصغرى»، ص ٢٢٣.
٢٢. سورة الأنفال، آية ٥٣.
٢٣. المفيد، «الكافي»، ج ١، «كتاب الحجة»، باب في الغيبة، ص ٣٤٣، ح ٣١.
٢٤. الشيخ الصدوق، «علل الشرايع»، النجف، المكتبة الحيدرية، ٢٠٠٦هـ، ج ١، ص ٢٨٥، باب ١٧٩، ح ٢.
٢٥. أبو الفضل علي الطبرسي، «مشكاة الأنوار»، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤١١ هـ، ص ٧٠.
٢٦. النعماني، «الغيبة»، ص ٢٠٣، ح ٤.
٢٧. سورة البقرة، آية ١٤٨.
٢٨. المفيد، «كمال الدين وتمام النعمة»، ج ٢، باب ٣٦، ص ٣٧٨، ح ٢.
٢٩. المفيد، «الرسالة الثالثة في الغيبة»، الطبع الاول: قم، دار المفيد، ١٤١٣، صص ١١ و ١٢.
٣٠. المجلسي، «بحار الأنوار»، ج ٥٣، ص ١٧٧، ح ٧.
٣١. الطوسي، «الغيبة»، ص ٩٠.
٣٢. الطوسي، «الغيبة»، ص ٩٢.
٣٣. تم تعريف «لطف» في اصطلاح المتكلمين على النحو التالي: "ما يقرب العبد من طاعة الله، ويبعده عن الخطيئة، دون أن يبلغ حد الإكراه والإجبار". سيد محسن خرازي، «بداية المعارف الإلهية في شرح العقائد الإسلامية»، الطبع الثالث: قم، مؤسسة النشر الاسلامي، ١٤٢٥ هـ، ج ١، ص ٢٣٠.
٣٤. العلامة الحلي، «كشف المراد»، خواجه مصير الدين طوسي، شرح تجريد الإعتقاد، ترجمة وشرح: أبو الحسن شعراني، الطبع الثاني: طهران، مكتبة إسلامية، ١٣٩٨ هـ، ص ٥٠٧.
٣٥. لمزيد من المعلومات في هذا المجال، انظر: علي رضا نودهي، نظرية اختيار الظهور: التحقيق في دور الشيعة في تعجيل وإدراك الظهور، ط٢: طهران، موعود عصر، ٢٠٠٦.
٣٥.المفيد، «كمال الدين وتمام النعمة»، ج ٢، باب ٤٤، ص ٤٨٢، ح ١١.
٣٦. لمزيد من المعلومات في هذا المجال، انظر: علي رضا نودهي، نظرية اختيار الظهور: «التحقيق في دور الشيعة في تعجيل وإدراك الظهور»، الطبع الثاني: طهران، موعود عصر، ٢٠٠٦.

تأسيس المدينة وكمال الإنسان

إسماعيل شفيعي سروستاني

ويعني الكمال في المصطلح، تفعل جميع المواهب الكامنة في كائن ما. إن أي كائن، أكان من الجن والإنس، من الحيوان والنبات ينال الكمال الملائم من خلال نيل مقام الإثمار أي ظهور جميع المواهب والطاقات الكامنة لديه.

والسقط هو كل ما يسقط، مثل الثمرة الفجة والناقصة التي تسقط من الشجرة أو الجنين يسقط من بطن أمه قبل تمامه، وهو ما ينتزع إمكانية النمو والنضج والتكاثر من الكائنات. لذلك فان نيل الكمال وبلوغ أعلى مراتب ظهور وبروز المواهب الكامنة، هو ما تطلبه تكوينا جميع الكائنات المقيمة في عالم الإمكان.

إن ولادة أي كائن، وإبصاره النور في الدنيا، يشكل نقطة البداية للسير والسفر والصيرورة التي تستمر حتى تجربة كمال الجسم والروح وذلك حسب الجهوزية والموهبة الكامنتين لدى أي كائن؛ فالصيرورة تعني التحول والانتقال من حال إلى حال.

إن من يتبنى إرادة قيادة وتوجيه أبناء آدم، يجب أن يلتفت بالضرورة إلى جميع المواهب والساحات الوجودية لجميع الكائنات التي يضعها في ظرف مدينة ما بجانب بعضهم البعض، ويأخذ بيدها في نسيج متناغم وبالتعامل معا، نحو النقطة المنشودة المفترضة، ونحو سير الكمال. وعليه، فان معرفة المعمار البارع والفاعل بجميع المواد الإنشائية، وكذلك فاعليها واستخداماتها، ومعرفة طريقة ربط ووصل جميع المكونات، يساعده على بناء وإقامة صرح رفيع وفاعل وجميل ومتناسب مع الاهداف المحددة.

وكيف يمكن أن يكون كل ذلك شرطا ضروريا في بناء صرح مادي؛ لكنه لا يشكل شرطا ضروريا لبناء الصرح الوجودي للانسان وتوصيله في جميع التعاملات الفردية والجماعية والدنيوية والاخرية إلى مراتب الكمال؟

إن تجاهل أي مكون للساحات الوجودية للكائنات التي تعيش بجانب بعضها البعض في مدينة ما، يؤدي بالضرورة إلى عدم نضوج الكائنات. ولذلك فان الشرط الأول لتأسيس المدينة الطيبة، يكمن في وجود مهندس معماري رفيع المقام ومشرف وملم بجميع الأجزاء والمكونات الوجودية للكائنات، بصفة عامة والانسان بصفة خاصة. وكما يقول الشاعر:

إن الذات التي لا تستمد من بارئ الكون
كيف يمكن لها أن تهب الكون والوجود
إن السحاب الجاف الخاوي من الماء
لا يتصف بصفة الرطوبة والماء
لا يأتي من الممكن إلا العمل
إن وقعت الحاجة إليه
إنه قائم بذاته والعالم قائم به

لا يستقيم أي كائن إن لم يرتبط به
إن حركة هذه السلسلة تأتي منه
وهذه القافلة متوجهة إليه[١]

وعليه، فان من الضروري وجود «الانسان الكامل» لإقامة وبناء «المدينة الكاملة»، لتتوافر بذلك إمكانية وفرصة الإثمار وإيصال الانسان وسائر كائنات عالم الإمكان إلى الكمال.

أريد القول أن جميع المدن المصممة والمقترحة، محكومة بقبول النقصان بسبب الأزمة المعرفية لدى مصمميها في معرفة الحقيقة الوجودية للعالم والانسان والانخراط في الحيرة والتيه في معرفة حضرة الحق ومعرفة الانسان والعالم.

إن الاختلاف في مجال تقديم التعريف حول أي من الأضلاع الثلاثية المذكورة، من قبل المتشدقين بعمارة وبناء المدينة الفاضلة واليوتوبيا، يميط اللثام عن الأزمة المعرفية الكامنة والمؤثرة بطبيعة الحال في أي عرض.

ويعتبر **توماس هوبز**[٢] الانسان بانه ذئب الانسان[٣] و**هيغل**،[٤] علم الانسان بانه فرع من علم الحيوان[٥] و**داروين**،[٦] الانسان بانه نسيب الحيوان فيما يعتبر علماء المنطق المسلمون، الانسان بانه حيوان ناطق.[٧]

وأي تعريف يستعين به مصمم المدينة عن الانسان، ليحدد به مكانة الآدمي في منظومة الوجود ويضع وصفة للسير به على جادة الكون والوجود؟

إن العودة إلى خالق العالم والانسان، والتمسك بالانسان الكامل، بوصفه مربي الانسان ومعمار المدينة، يمثل أهم وأبرز وجه يميز الدولة المهدوية الكريمة عن جميع المدن الفاضلة واليوتوبياهات المقترحة.

الانسان الكامل، مؤسس الدولة الكريمة والمدينة الطيبه

أن تأسيس الدولة الكريمة والمدينة الفاضلة في الأرض، هو المقصود والمراد من خلق الانسان والعالم؛ وإلا لما قال الله تعالى:

«إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً»[٨]

إن خليفة حضرة الحق، باعتبار أن الله تعالى قال بشأنه: **«وعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها»**[٩] هو عالم بالأسماء الإلهية وبالتالي، ملم ومحيط بجميع الكائنات الساكنة في عالم الإمكان وسادن وأمين وخليفة الله المتعال في الأرض.

إن مقام الخليفة والأمين والرئيس على ما سوى الله، يتطلب أن يتحلى الخليفة بصفات حضرة الحق بالكامل.

إن هكذا شخصية رفيعة المستوى والمقام والتي تنطوي على جميع صفات الحق، تسمى الإنسان الكامل، وهي بحسب المكانة والموقع، تكفل ثبات العالم حتى نهاية العالم، وعليه، فانه من أجل حفظ العالم ودوامه وثباته، فلا بد من حضور هذا الانسان الكامل في جميع عصور ودهور حياة البشرية على الأرض؛ سواء كان ظاهرا أمام أعين البشرية أم لا. لذلك، فمع رحيل أي انسان كامل، فان إنسانا كاملا اخر، يخلفه حتى آخر دورة حيث أن آخر وصي للرسول الأكرم ﷺ، آخر انسان كامل وحي وحاضر، يمسك بزمام أمور خلق العالم باذن الله، وهذا المقام يكون جاريا له إلى الأبد.

تعال وادخل في ظلال ذلك العاقل
ولا أحد قادر على تحريكه
وظله في الأرض يشبه جبل قاف
وروحه كالعنقاء عالية الطواف
وإن قلت صفاته إلى يوم القيامة
فلا تبحث عن برهة ونهاية لها
وقد غطت الشمس في البشر
افهم والله أعلم بالصواب[١٠]

ويشبه محي الدين بن عربي في «فصوص الحكم» وفي الفص الأول، بعنوان «فص حكمة إلهية في كملة آدمية»، يشبه الانسان الكامل بمكان نقش خاتم كمال خلقة الله ويقول:

إن الملك الذي ختم خزانته بوضع نقش خاتمه وحفظها، حافظ على العالم من خلال خلق الانسان الكامل.[١١]

وعلى رأس سلسلة مراتب الانسان الكامل، هو وجود الرسول الأكرم ﷺ وآخرها، الإمام المهدي عجل الله فرجه الذي يرفع في وقت الظهور راية الدولة الكريمة والمدينة الطيبة.

ومن وجهة نظر المسيحيين، فان عيسى المسيح عليه السلام كان مصداق الانسان الكامل في العالم. ويبين المسيحيون، الوضع الأولي للانسان على هيئة الله؛ لان روح الله قد نفخت فيه ويملك خصائص مثل العقل والضمير والإرادة.

إن هكذا انسان في منظورهم، هو خير من كل الكائنات وذلك بسبب امتلاكه الصفات الإلهية، ويحظى بالقدسية... وحسب معتقدات المسيحيين، فان عيسى عليه السلام هو الانسان الوحيد الذي نال هذا المقام على خليفة امتلاكه ميزات مثل العصمة والمحبة وإنقاذ وتخليص الاخرين وكذلك مقام الشفاعة.[١٢]

الهوامش:

١. جامي، «هفت أورنج»، الجزء ١٩، العقد الرابع في الاستدلال بظهور آثار وجود الخالق سبحانه ما أعز شأنه وما أجلى برهانه.

2. Thomas Hobbes.

٣. حلبي، علي أصغر، «الانسان في الإسلام والمدارس الغربية»، طهران، أساطير للنشر، الطبعة الأولى، ١٣٧٤هـ.ش.، ص ١٠٥.

4. Georg Wilhelm Friedrich Hegel.

٥. لاندمان، مايكل، «علم الإنسان الفلسفي»، ترجمة وتأليف رامبور صدر نبوي، مشهد، مطبعة طوس، الطبعة الأولى، ١٣٥٠هـ.ش.، ص ١٩٥.

6. Charles Darwin.

٧. مطهري، مرتضى، «مجموعة أعمال»، ج ٣٧، صص ٣١-٣٢.

٨. سورة البقرة، الآية ٣٠.

٩. المصدر السابق، الآية ٣١.

١٠. مولوي، «مثنوى معنوى»، الدفتر الأول، القسم ١٤٠: وصية رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام.

١١. ابن عربي، محي الدين، «فصوص الحكم»، تعليقات أبو العلي عفيفي، طهران، الزهراء، ١٣٦٦هـ.ش.

١٢. تيسن، «اللاهوت المسيحي»، قم، صص ١٤٧-١٥١؛ استات، جان، «أسس المسيحية»، ترجمة روبرت آسيريان، طهران، الحياة الأبدية، ص ٥٥.

المصدر: شفيعي سروستاني، إسماعيل، «اليوتوبيا والديستوبيا، والدولة المهدوية الكريمة، طهران، هلال، الطبعة الأولى، ٢٠٢١م.، صص ١١٤-١٢٠.

الشيخ حسين أنصاريان

دولة الخوارق

تظهر أعمال الإمام المهدي عجل الله فرجه في التبديل الذي يجريه في أحوال أهل الأرض، وهذا التبديل لا يتم بناء على قدرات مادية فقط بل يظهر المهدي عجل الله فرجه بالخوارق. لكأن دولته هي دولة تقوم على قوى روحانية ربانية، تتعدى القوى المادية المعروفة في الأرض في زمانه وتنتصر عليها.. إنها تشبه في الملك ملك سليمان عليه السلام وتتخطاها في أمور، لأنها مظهر ملْك محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله، يقول **ابن‌عربي: ومحمّد صلى الله عليه وآله... الرحمة للعالمين ذاتاً وصفاتاً، وتمام ملكه موقوف على ظهور المهدي** عجل الله فرجه.[١]

وهذه القوة التي تطبع دولة المهدي عجل الله فرجه تدعو إلى التفكر في التصور الإسلامي للخلاص في آخر الزمان، وأنه لن يتم إلا باتحاد الباطن بالظاهر، والتحقق بالقوة الخيرة التي تقيم دولة الحق والعدل في مواجهة القوة التي تقيم الدولة الظالمة الجائرة.

ومن أبرز التغييرات التي يقوم بها المهدي عجل الله فرجه في الأرض:

أ) **من الجور إلى العدل:** وهذا التغيير بشر به رسول الله صلى الله عليه وآله، وشهد له بالصوابية والعدل. وقد سبق قول ابن‌عربي إن لله خليفة يخرج وقد امتلأت الأرض جوراً وظلماً فيملؤها قسطاً وعدلاً.

ب) **من الضعف إلى القوة:** تبرز القوة الظاهرة كقيمة في زمن المهدي عجل الله فرجه، ويصبح النصر علامة على التقوى والقرب وكل أشكال الولاية. يقول عنه ابن‌عربي: **يخرج على فترة من الدين، يزع الله به ما لا يزع بالقرآن (...) يمشي النصر بين يديه.**[٢] وفي سياق آخر يقول: فهو = ختم الولاية المحمّدية والقرآن أخوان، كما أن المهدي عجل الله فرجه والسيف أخوان.[٣]

ج) **من الجهل إلى العلم:** تعم المعرفة في زمن الإمام المهدي عجل الله فرجه، لوجوده كمنبع عرفان في زمنه، وكذلك لانبساط اللطيف على الكثيف والروح على الجسد. يقول ابن‌عربي: **ويعرف ما أشار إليه من عموم البركات عند ظهور المهدي عجل الله فرجه، حتى يكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله وفخذه بما عمله أهله من بعده. وتفتح القسطنطينية بغير سلاح إلى سائر ما ذكر صلى الله عليه وآله لعموم انبساط اللطيف على الكثيف.**[٤]

د) **من الفقر إلى الغنى:** يقول ابن‌عربي: يقسم المهدي عجل الله فرجه المال بالسوية، ويعدل بالرعية، ويفصل في القضية، يأتيه الرجل فيقول له: **يا مهدي عجل الله فرجه أعطني، وبين يديه المال فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله.**[٥]

وبذلك تكون المعايير التي دافع عنها الصوفي وخاصة الفقر، قد تغيرت لتغير الزمان والإنسان، فالغنى أصبح أحد مقومات القوة، وبالتالي من كمال الإمامة.. ولا يجرح غنى اليد نقاءَ القلب من شهوة المال.

وزراء المهدي عجل الله فرجه الشريف

تتكامل دولة المهدي عليه السلام بعدد من الوزراء، أصحاب قدرات مخصوصة، يعينونه على القيام بأعباء ملكه. يقول ابن‌عربي مخبراً عن أعداء المهدي عليه السلام ومبايعيه ووزرائه: أعداؤه مقلدة العلماء أهل الاجتهاد، لما يرونه من الحكم بخلاف ما ذهبت إليه أئمتهم، فيدخلون كرهاً تحت حكمه خوفاً من سيفه وسطوته ورغبة فيما لديه. يفرح به عامة المسلمين أكثر من خواصهم. يبايعه العارفون بالله من أهل الحقائق عن شهود وكشف بتعريف إلهي. له رجال إلهيون يقيمون دعوته وينصرونه هم الوزراء، يحملون أثقال المملكة ويعينونه على ما قلده الله.[٦]

وقد أفرد ابن‌عربي باباً في الفتوحات المكية هو الباب السادس والستون وثلثمائة، عنوانه:

في معرفة منزل وزراء المهدي عليه السلام الظاهر في آخر الزمان الذي بشر به رسول الله صلى الله عليه وآله وهو من أهل البيت.[٧]

وهؤلاء الوزراء عددهم دون العشرة تأكيداً، لهم القدم الراسخ في الصدق، والمهدي عليه السلام أصدق أهل زمانه، فوزراؤه الهداة وهو المهدي عليه السلام، لذلك ينصره الله ومن تابعه، لأن النصر أخو الصدق حيث كان يتبعه.[٨] ويدلل ابن‌عربي على التصاق النصر بالصدق بعدم انهزام المسلمين قط، كما أنه لم ينهزم نبي قط. ويرى ابن‌عربي أنه حتى لو تقابل جمعان متناقضان في العقيدة، فالغلبة ليس لمن عقيدته حقة بل الغلبة للصادق في قضيته وإن كانت باطلة.. لأن النصر أخو الصدق.[٩]

ويتردد ابن‌عربي في إثبات عدد وزراء المهدي عليه السلام، ويربط عددهم بعدد سني دولة المهدي عليه السلام. وحيث أن مدة إقامة دولته من خمس إلى تسع، فيكون وزراؤه لا أقل من خمسة ولا أكثر من تسعة، لأنه لكل عام في دولته أحوال مخصوصة، وعلم ما يصلح في ذلك العام خص به وزير من وزرائه.[١٠] ويقتلون كلهم إلا واحداً منهم.

ولا يظل ابن‌عربي متردداً في عدد الوزراء، بل يحسم بالرقم تسعة إثر لقاء حمل إليه تعريفاً دون طلب منه، يقول: قيض الله واحداً من أهل الله تعالى وخاصته، يقال له أحمد بن عقاب اختصه الله بالأهلية صغيراً، فوقع منه ابتداءً ذكر هؤلاء الوزراء، فقال لي: هم تسعة، فقلت له: **إن كانوا تسعة فإن مدة بقاء المهدي عليه السلام لا بد أن تكون تسع سنين.**[١١]

إن ما استفاد ابن‌عربي من أحمد بن عقاب هو عدد وزراء المهدي عليه السلام، أما ما تحتاجه دولة المهدي عليه السلام من علوم ويقوم به الوزراء، وبغض النظر عن عددهم، فهي تسعة علوم لا عاشر لها ولا تنقص عن ذلك[١٢] ويعرف ذلك ابن‌عربي دون الرجوع إلى أحد. وهذه العلوم التسعة هي:

١. نفوذ البصر: وذلك ليكون دعاؤه إلى الله على بصيرة في المدعو إليه لا في المدعو، فينظر في عين كل مدعو ممن يدعوه فيرى ما يمكن له الإجابة إلى دعوته فيدعوه من ذلك.. فإن المهدي عليه السلام حجة الله على أهل زمانه.[١٣]

٢. معرفة الخطاب الإلهي عند الإلقاء: وهو قوله تعالى: «وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَه ٱللَّه إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسولاً.»[١٤] أما الوحي فهو ما يلقيه في قلوبهم على جهة الحديث، وأما قوله «**أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ**» فهو خطاب إلهي يلقيه على السمع لا على القلب فيدركه من ألقي عليه فيفهم منه ما قصد به من أسمعه ذلك. وأما قوله «**أَوْ يُرْسِلَ رَسولاً**» فهو ما ينزل به الملك أو ما يجيء به الرسول البشري الينا إذا نقلا كلام الله خاصة.[١٥]

٣. علم الترجمة عن الله: يكون المترجم خلاقاً لصور الحروف اللفظية أو المرقومة التي يوجدها ويكون روح تلك الصور كلام الله لا غير، فإن ترجم عن علم فما هو مترجم.[١٦]

٤. تعيين المراتب لولاة الأمر: وهو العلم بما تستحقه كل مرتبة من المصالح، فينظر صاحب هذا العلم في نفس الشخص الذي يريد أن يوليه ويرفع الميزان بينه وبين المرتبة، فإذا رأى الاعتدال في الوزن من غير ترجيح لكفة المرتبة ولاه، وإن رجح الولي فلا يضره، وإن رجحت كفة المرتبة عليه لم يوله...[١٧] وهذا الميزان رمز لدور المهدي عليه السلام الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً.

٥. الرحمة في الغضب: وهذا لا يكون إلا في الحدود المشروعة، لأن الإنسان إذا غضب لنفسه فلا يتضمن ذلك الغضب رحمة بوجه، أما إذا غضب لله فغضبه غضب الله سبحانه، وغضب الله لا يخلص عن رحمة إلهية تشوبه... وفي هذا السياق قال أبو يزيد البسطامي: بطشي أشد لما سمع القارئ يقرأ: «**إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ.**»[١٨] والسبب: إن بطش الإنسان بالإنسان لا رحمة فيه، أما بطش الله سبحانه فيأتي على رحمة سبقت. والمهدي عليه السلام لا يغضب إلا لله،

فلا يتعدى في غضبه إقامة حدود الله التي شرعها.[١٩]

٦. علم ما يحتاج إليه الملْك من الأرزاق: يعلم أصناف العالم ويوفر لهم الأرزاق الروحية والمحسوسة.[٢٠]

٧. علم تداخل الأمور بعضها على بعض: وهو معنى قوله: «يُولِجُ ٱللَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱللَّيْلِ»[٢١]... وهو علم التوالد في المعاني والمحسوسات.[٢٢]

٨. المبالغة والاستقصاء في قضاء حوائج النا

السؤال: وهذا يتعين على الإمام خصوصاً دون جميع الناس، فإن الله ما قدمه على خَلْقه ونصبه إماماً لهم إلا ليسعى في مصالحهم... فإذا رأيتم السلطان يشتغل بغير رعيته وما يحتاجون إليه فاعلموا أنه قد عزلته المرتبة بهذا الفعل، ولا فرق بينه وبين العامة.[٢٣]

٩. الوقوف على علم الغيب: وهذا الإمام له اطلاع من جانب الحق على ما يريد الحق أن يحدثه من الشؤون قبل وقوعها في الوجود، فيطلع في اليوم الذي قبل وقوع ذلك الشأن على ذلك الشأن، فإن كان مما فيه منفعة لرعيته شكر الله وسكت عنه، وإن كان فيه عقوبة بنزول بلاء عام أو على أشخاص معينين سأل الله فيهم وشفع وتضرع، فصرف الله عنهم ذلك البلاء برحمته.[٢٤]

وفي الختام... أورد نصاً لابن‌عربي يظهر إيمان ابن‌عربي بخروج المهدي عليه السلام وانتظاره له، وقناعته بأن رجال المهدي عليه السلام لا يمنعهم عن نصرته السد المتوهم بين الماضي والحاضر.. يقول:[٢٥]

... **فيا منظور الناظر، ويا من بظهوره بطش الملك القادر، ويا ولي الله، ويا خليفة الملك القاهر. أما انسلختَ من الأصلاب والأرحام، أما أمرتَ بتبديل هذه الأحكام.. السموات والأرض ومَنْ فيهن بانتظارك، والوجود متشوق إلى إسفارك. اللهم إنا نؤمن بولايته، وخلافته، وإمامته، وهدايته، ولا نلحد فيه إلحاد الغافلين، ولا ننكره إنكار العالين، وننتظره مدة حياتنا، إيماناً بك، وتصديقاً لرسولك. فلا تحرمنا إن لم تقسم لنا رؤيته أجر اتباعه. واكتبنا في عدد أنصاره وأشياعه.**

الهوامش:

١. «بلغة الغواص»، ورقة ٦٠.
٢. «الفتوحات»، ج ٣، ص ٣٢٧.
٣. نفس المصدر، ص ٣٢٩.
٤. «بلغة الغواص»، ق ١٣٢-١٣٣.
٥. «الفتوحات»، ج٣، ص ٣٢٧.
٦. نفس المصدر.
٧. وهذا الفصل يبلغ عدد صفحاته حوالي ثلاث عشرة صفحة، وهي في الجزء الثاني من صفحة ٣٢٧ إلى ص ٣٤٠.
٨. «الفتوحات»، ج ٣، ص ٣٢٩.
٩. نفس المصدر.
١٠. نفس المصدر، ص ٣٣١.
١١. «الفتوحات»، ج ٣، ص ٣٣١.
١٢. نفس المصدر، ص ٣٣٢.
١٣. نفس المصدر.
١٤. سورة الشورى، الآية ٥١.
١٥. نفس المصدر.
١٦. نفس المصدر.
١٧. «الفتوحات»، ج ٣، ص ٣٣٣.
١٨. سورة البروج، الآية ١٢.
١٩. «الفتوحات»، ج ٣، ص ٣٣٣.
٢٠. نفس المصدر، ص ٣٣٤.
٢١. سورة الحج؛ الآية ٦١.
٢٢. «الفتوحات»، ج ٣، ص ٣٣٥.
٢٣. نفس المصدر، ج ٣، ص ٣٣٦.
٢٤. نفس المصدر، ص ٣٣٧.
٢٥. «بلغة الغواص»، ق ٦٤.

المصدر: الشبكة العرفان؛ www.erfan.ir

محمدتقي الموسوي الاصبهاني

هدم أبنية الكفر و الشقاق والنفاق

مما يوجب الدعاء له عند أهل الاشتياق، لأنه من لوازم البغض للأعداء و قد قدمنا وجوبه عند ذكر ولاية الأولياء.

و أما ما يدل على أن مولانا صاحب الزمان عجل الله فرجه يأمر بهدم أبنية أهل الكفر و الطغيان، فعدة دعوات و روايات:

منها: دعاء الندبة المروي عن الصادق عليه السلام، ففيه: «**أين هادم أبنية الشرك و النفاق.**»[1]

و منها: رواية المفضل: عن الصادق عليه السلام قال: «**يأتي القائم عليه السلام بعد أن يطأ شرق الأرض و غربها الكوفة و مسجدها، و يهدم المسجد الذي بناه يزيد بن معاوية لعنه الله، لما قتل الحسين بن علي عليهما السلام و مسجد ليس لله ملعون ملعون من بناه.**»[2]

و منها: رواية **علي بن إبراهيم بن مهزيار الأهوازي**، المروية في المحجة للسيد هاشم البحراني رحمه الله، عن مولانا صاحب الزمان عليه السلام:

«**يابن المهزيار! لو لا استغفار بعضكم لبعض لهلك من عليها، إلا خواص الشيعة، التي تشبه أقوالهم أفعالهم.**» ثم قال: «**يا ابن المهزيار!**» و مد يده- «**ألا انبئك بالخبر؟ أنه إذا قعد الصبي، و تحرك المغربي، و سار العماني، و بويع السفياني، يأذن لي الله فأخرج بين الصفا و المروة، في ثلاثمائة و ثلاثة عشر رجلا سواء، فأجيء إلى الكوفة، و أهدم مسجدها و أبنيه على بنائه الأول، و أهدم ما حوله من بناء الجبابرة، و أحج بالناس حجة الإسلام، و أجيء إلى يثرب فأهدم الحجرة، و أخرج من بها و هما طريان، فآمر بهما تجاه البقيع و آمر بخشبتين يصلبان عليهما فتورق من تحتهما، فيفتتن الناس بهما أشد من الفتنة الأولى.**

فينادي مناد من السماء: يا سماء انتدي و يا أرض خذي، فيومئذ لا يبقى على وجه الأرض إلا مؤمن قد أخلص قلبه للإيمان.»

قلت: «**يا سيدي، ما يكون بعد ذلك؟**»

قال عليه السلام: «**الكرة الكرة، الرجعة [الرجعة].**» ثم تلا هذه الآية: «ثُمَّ رَدَدْنا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَ أَمْدَدْناكُمْ بِأَمْوالٍ وَ بَنِينَ وَ جَعَلْناكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً.»[3و4]

و منها: في البحار: عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**إذا قام القائم هدم المسجد الحرام حتى يرده إلى أساسه، و حول المقام إلى الموضع الذي كان فيه.**»[5]

و فيه: في حديث آخر، عنه عليه السلام قال: «**القائم يهدم المسجد الحرام حتى يرده إلى أساسه، و مسجد الرسول صلى الله عليه و آله إلى أساسه، و يرد البيت إلى موضعه و أقامه على أساسه.**»[6]

و فيه: عن غيبة الشيخ: بإسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام- في حديث له- حتى انتهى إلى مسجد الكوفة، و كان مبنيا بخزف و دنان و طين، فقال عليه السلام:

«**ويل لمن هدمك، و ويل لمن سهل هدمك، و ويل لبانيك بالمطبوخ المغير قبلة نوح، طوبى لمن شهد هدمك مع قائم أهل بيتي، اولئك خيار الامة مع أبرار العترة.**»[7]

و فيه: عنه، عن **أبي بصير**، في حديث له اختصره، قال: «**إذا قام القائم دخل الكوفة، و أمر بهدم المساجد الأربعة، حتى يبلغ أساسها، و يصيرها عريشا كعريش موسى، و يكون المساجد كلها جماء لا شرف لها، كما كان على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، و يوسع الطريق الأعظم، فيصير ستين ذراعا، و يهدم كل مسجد على الطريق، و يسد كل كوة إلى الطريق، و كل جناح و كنيف و ميزاب إلى الطريق، و يأمر الله الفلك في زمانه فيبطيء في دوره، حتى يكون اليوم في أيامه كعشرة أيام، و الشهر كعشرة أشهر، و السنة كعشر سنين من سنيكم.**

ثم لا يلبث إلا قليلا، حتى يخرج عليه مارقة الموالي برميلة الدسكرة عشرة آلاف، شعارهم:

يا عثمان يا عثمان، فيدعو رجلا من الموالي فيقلده سيفه فيخرج إليهم فيقتلهم حتى لا يبقى منهم أحد، ثم يتوجه إلى كابل شاه، و هي مدينة لم يفتحها أحد قط غيره، فيفتحها، ثم يتوجه إلى الكوفة فينزلها، و يكون داره، و يبهرج سبعين قبيلة من قبائل العرب...» الخبر.[8]

الهوامش:

١. «الصحيفة الرضوية الجامعة»، ص ٣١٦، دعاء ٢٨.
٢. المجلسي، «بحار الانوار»، ج ٥٣، ص ٣٤، س ١٤.
٣. سورة الإسراء، الآية ٦.
٤. الطبري، محمّد بن جرير، «دلائل الإمامة»، ص ٢٩٦، عنه البحراني، «المحجة»، ص ١٢٥.
٥. الشيخ المفيد، «الإرشاد»، ص ٤١١.
٦. الشيخ الطوسي، «الغيبة»، ص ٤٧٢، ح ٤٩٢.
٧. نفس المصدر، ص ٤٧٣، ح ٤٩٥.
٨. نفس المصدر، ص ٤٧٥، ح ٤٩٨.

المصدر: الاصفهاني، محمد تقى، «مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم عجل الله فرجه»، مؤسسة الإمام المهدي عجل الله فرجه، ج ١، صص ٣٧٠-٣٧٤؛ بالتلخيص.

مونتسدات روفيرا (زينب)

أجرت مجلّة «نور الإسلام» مع **مونتسدات روفيرا** حواراً تحدّثت فيه عن كيفيّة إسلامها:

السؤال: هل لك أن تعرّفينا عن نفسك ؟

نعم بكلّ سرور.. إسمي مونتسدات بايا روفيرا، وقد إتخذت اسم «زينب» بعد الإسلام، من منطلق إعجابي بـ **السيّدة زينب**عليها السلام وشخصيّتها الفذّة.. ولدت في مدينة «برشلونة» الإسبانيّة من عائلة مسيحيّة عاديّة، تجهل أيّ شيء عن الإسلام سوى ما تسمعه من أنّ المسلمين كان لهم تاريخ حافل في هذا البلد، كما تحمل نظرة مشوّهة عنهم وعن الإسلام كما هو حال الأوروبيّين بشكل عام.. كنت أتابع دراستي كقابلة قانونيّة عندما اهتديت للإسلام، حيث تعرّفت بعد ذلك على زوجي المسلم اللبناني، وانتقلت معه للعيش في لبنان، وأنا إلى جانب واجباتي الأسريّة أخصّص وقتاً مهمّاً للاطّلاع أكثر على الإسلام من أجل أن أصبح قادرة على التبليغ والدعوة إلى الله كما هو واجب كلّ مسلم.

السؤال: قبل اعتناقك للإسلام، هل كان لديك تساؤلات إيمانيّة حول معتقدك الدينيّ السابق؟

قبل أن أهتدي للإسلام كنت دائماً أحسّ بأنّ شيئاً ما ينقصني ويدفعني للتساؤل. كنت أعتقد بأنّ الله موجود، وأنّه خالق كلّ شيء، ولكن نظرة المسيحيّة لله لم تكن تقنعني، ولم أكن أتقبّل مسألة التثليث وألوهيّة عيسى عليه السلام، ولذا كانت الحيرة تلازمني من هذه الجهة، ولم تزل عن عقلي إلاّ بعد أن أطلعت على عقيدة الإسلام التوحيديّة المطلقة، ونظرتها المتكاملة الواضحة لله تعالى والتي يسهل على المرء المتفتّح العقل أن يقبلها ويقتنع بها، شأن كلّ المسائل العقيديّة الأخرى في الإسلام التي تخلو من الأسرار التي هي فوق العقل والتي على المرء أن يؤمن بها بدون جدال فهذا ليس موجوداً في الإسلام.

السؤال: كيف كانت بداية طريقك نحو الإسلام ؟

كانت لي صديقة إسبانيّة قد تعرّفت على الإسلام قبلي، وهذه الفتاة كانت تأتي لزيارتي بين فترة وأخرى، وكنّا كلما التقينا تحدّثني عن الإسلام، وتشرح لي عقيدته ومزاياه، وقد أحضرت لي مصحفاً وبعض الكتب الإسلاميّة. عندها بدأت أقارن بين القرآن والإنجيل، فوجدت اختلافاً تامّاً بينهما، وأيضاً وجدّت تناقضاً بين العهد القديم والعهد الجديد، فالعهد القديم – مثلاً – يقول للنبيّ موسى عليه السلام قل للناس هذا حرام، والعهد الجديد يقول للنبيّ عيسى عليه السلام قل للناس عكس ما قيل للنبيّ موسى عليه السلام، أي افعلوا ما تشاؤون! كانت هذه المسألة وأمثالها تتضّح لي يوماً بعد يوم، وعلى العكس من ذلك كنت كلّما توسّعت بقراءة الكتب الإسلاميّة، أجد حلولا وأجوبة مقنعة للمسائل العقيديّة والتشريعيّة التي أبحث عنها.. ثمّ بدأت ألتقي بعد ذلك بأشخاص مسلمين ملتزمين، ومن خلالهم اطّلعت أكثر على الإسلام وعلى العادات الإسلاميّة، فحصل لديّ اقتناع تامّ، وهكذا أشهرت إسلامي.. ولكن أقول: ليس سهلا اعتناق الإسلام، بل الأمر يحتاج إلى جهد كبير وإرادة صلبة خاصّة لمن نشأ في مجتمع غربيّ ماديّ، ولكن مع الصبر يصل الإنسان إلى ما يريد خاصة وأنّ الجائزة كبيرة جدّاً وهي سعادة الدنيا والآخرة.

السؤال: ما كان وقع اعتناقك للإسلام على أهلك ومحيطك وما هي المشاكل التي صادفتك بسبب ذلك؟

بالنسبة لوضع الأهل والأقارب والناس حولي بشكل عام، كان من الطبيعي أن يرفضوا الإسلام.. مع أهلي كانت هناك مشاكل كثيرة في بادئ الأمر، مثلا : كانوا يقولون لي : إنّنا عائلة مسيحيّة وإذا أسلمت سيبدأ الناس بالكلام علينا.

لم أعتن بهذا الكلام; لأنّني كنت قد اعتنقت الإسلام، ولكن وضع أهلي عموماً كان يختلف عن بقيّة الناس، فكانوا يحافظون عليّ، وعندما صمّمت على الإسلام قبلوا ذلك طبعاً بعد جهد ومناقشات.

وبعد الإسلام كنت أواجه مشاكل في البيت، تعود إلى مسألة الطهارة والأكل والمحرّمات الموجودة، ولكن مع الوقت تعوّد أهلي على عاداتي الإسلاميّة الجديدة، وأصبحوا يتفهّمون وضعي، ولكن معاناتي مع الأقارب والناس في الشارع كانت أصعب، فكنت كلّ يوم أواجه مشاكل وأسمع كلاماً منهم لا يحتمل، ولكن عندما يشعر الإنسان أنّ الله معه لا يهتمّ لكلام الناس وأذاهم.

السؤال: هل تغيّر وضعك النفسي بعد الإسلام؟

بعد اعتناق الإسلام عن وعي، يحسّ الإنسان باطمئنان كبير كان يفتقده قبل ذلك، خاصّة إذا كان يعيش في مجتمع تسود فيه القيم الماديّة كالمجتمع الذي عشت فيه، وأنا أحسست بالراحة النفسيّة عندما لامستْ روحي شفّافيّة الإسلام المتجلّية في عقيدته السمحاء، وعباداته التي تنمّي الروح الخيّرة المحبّة الصادقة في الإنسان، فتغيّرت نظرتي للمجتمع وللكون والحياة تبعاً لذلك، فأصبحت أكثر تفاؤلا ورغبة بالعمل من أجل الغير.

السؤال: على ضوء تجربتك الخاصّة، ما هو برأيك الأسلوب الأفضل لدعوة الآخرين إلى الإسلام ؟

أعتقد أنّ كلّ شخص أو فئة من الناس يحتاج إلى أسلوب خاصّ في التحدّث معه عن الإسلام ودعوته إليه، فإذا كان الشخص يعترف بوجود الله يكون الكلام معه أسهل، بخلاف الملحد، فالمعترف بوجوده تعالى يمكن أن تحدّثه عن خلق العالم وعن الأنبياء والكتب السماويّة، ويمكن أن تقدّم له مقارنة بين القرآن والإنجيل، وتبيّن له صلاحيّة الإسلام لحلّ مشاكل البشريّة وهكذا، والملحد أيضاً عليك أن تقرّب فكرة الله والدين من ذهنه وتبيّن له التناقض الفكر الماديّ.

السؤال: كما هداك الله للإسلام، فإنّ الإسلام يحفّزك على أن تعملي على هداية غيرك، فما هو الدور الذي تقومين به حالياً أو تنوين أن تقومي به على هذا الصعيد؟

إنّني حاليّاً أسعى لتعلّم اللغة العربيّة بشكل يمكّنني من دراسة وتفهّم الكتب الإسلاميّة، وخاصّة القرآن الكريم، حتّى أصل إلى هدفي الذي أقوم به بشكل جزئي الآن، وهو العمل على دعوة الفتيات غير المسلمات بشكل خاصّ، والناس بشكل عام للإسلام، وأحكي لهم قصّتي وتجربتي نحو الإسلام حتّى يعرفوا أنّ الإسلام أفضل شيء في الوجود وأفضل شيء يمتلكه الإنسان في حياته.

كما أودّ أن أخاطب الفتيات المسلمات المبتعدات عن الدين بسلوكهن بسبب الانحرافات الخطيرة الموجودة في المجتمعات الإسلاميّة، لأبيّن لهنّ الفرق بين أن يكون الإنسان مسلماً حقيقيّاً يتمتّع بنعمة الإسلام والإيمان، وبين أن يكون غير ذلك، وقد لاحظت أنا هذا الفرق وعايشته.

السؤال: ما رأيك بوضع المرأة المسلمة في البلاد الإسلاميّة عموماً؟

عليّ أن أميّز بين وضعين للمرأة المسلمة في البلاد والمجتمعات الإسلاميّة، فهناك المرأة الملتزمة المتقيّدة بتعاليم الإسلام من حيث الستر والسلوك والاهتمامات الإسلاميّة العامّة، ففي بعض البلاد الإسلاميّة تلقى المرأة المسلمة اهتماماً خاصّاً من قبل السلطات الرسميّة المتبنّية للشريعة الإسلاميّة بشكل خاص.

وعموماً توجد نهضة مباركة للمرأة المسلمة في العالم الإسلامي في مختلف المجالات من حيث الالتزام الشرعي، والتعليم والوعي لدورها، وهذا مدعاة للارتياح مع أنّي أرى أنّ هذه المسيرة ما زالت في بدايتها، وعلى المرأة أن تتابعها لما فيه مصلحة الإسلام والمرأة والمجتمع.

وفي جانب آخر نرى أعداداً كبيرة من النساء والفتيات اللواتي يبتعدن في مظهرهن وسلوكهن وشخصيّاتهن عن الإسلام، ويقلّدن في ذلك وبأسلوب فاشل المرأة الغربيّة التي هي في نظري لا تعيش التحرّر الحقيقيّ، وإنّما تُستغلّ أبشع استغلال من قبل الرأسماليّين لزيادة ثرواتهم عن طريق استغلال وضع المرأة، واستغلال أنوثتها، وقتل إنسانيّتها; لتدميرها وتدمير الحضارة والمجتمعات الإنسانيّة.

فلابدّ من مضاعفة الجهود من قبل الجميع في البلاد الإسلاميّة لتوعية المرأة على هذه الحقيقة، وإيجاد الأجواء التي تحصّن المرأة والمجتمع ضدّ وباء الانحلال والفساد والتقليد الأعمى لكلّ ما هو ساقط في الغرب والشرق.

السؤال: هل من كلمة أخيرة؟

بعد أن أحمد الله تعالى الذي هداني للدين الحقّ، وأنقذني من ظلمات الشرك والضلال، أريد أن أقول للمسلمين بشكل عام: إنّكم تحظون بأغلى جوهرة وهي الإسلام، فحافظوا عليها كي لا تفقدوا نعمة وجودها وتكونوا أنتم الخاسرين.. إنّ للإسلام في نظري أهميّة عظيمة إنّه كالماء للحياة السليمة، إذا بقي الإنسان بلا ماء يذبل ويموت، وكذلك الإنسان بدون إسلام لا قيمة له ولا لحياته.

المصدر: «مجلّة نور الإسلام»، العددان ١٩ و٢٠، السنة الثانية ربيع الأوّل وربيع الثاني ١٤١٢هـ.؛ موسوعة من حياة المستبصرين، مركز الأبحاث العقائدية، ج ٤، صص ١٩١–١٩٦.

عبـــــادة الرب

وصية النبيّ صلى الله عليه وآله لأبي ذرّ (٦)

قال **أبي الأسود:** قدمت الرّبذة فدخلت على أبي ذرّ جندب بن جنادة فحدّثني **أبو ذرّ**، قال:

دخلت ذات يوم في صدر نهاره على رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجده، فلم أر في المسجد أحدا من النّاس إلّا رسول الله صلى الله عليه وآله و عليّ عليه السلام إلى جانبه جالس، فاغتنمت خلوة المسجد، فقلت:

يا رسول الله، بأبي أنت و أمّي أوصني بوصيّة ينفعني الله بها. فقال:

«يا أبا ذرّ، إنّ الله – تعالى – لم يوح إليّ أن أجمع المال، لكن أوحى إليّ أن سبّح بحمد ربّك و كن من السّاجدين، و اعبد ربّك حتّى يأتيك اليقين[١].

يا أبا ذرّ، إنّي ألبس الغليظ، و أجلس على الأرض، و أركب الحمار بغير سرج، و أردف خلفي، فمن رغب عن سنّتي فليس منّي.

يا أبا ذرّ، حبّ المال و الشّرف مذهب لدين الرّجل.

قال: قلت: يا رسول الله، الخائفون الخاضعون المتواضعون الذّاكرون الله كثيرا يستبقون النّاس إلى الجنّة قال: لا، و لكنّ فقراء المؤمنين، فإنّهم يأتون يوم القيامة فيتخطّون رقاب النّاس، فيقول لهم خزنة الجنّة: كما أنتم[١] حتّى تحاسبوا. فيقولون: بم نحاسب! فو الله ما ملكنا حتّى نجور و نعدل، و لا أفيض علينا فنقبض و نبسط، و لكنّا عبدنا ربّنا حتّى أتانا اليقين.

يا أبا ذرّ، إنّ الدّنيا مشغلة للقلب و البدن، فإنّ الله – عزّ و جلّ – يسأل أهل الدّنيا عمّا نعّموا في حلالها، فكيف بما نعّموا في حرامها! يا أبا ذرّ، إنّي قد سألت الله –عزّ و جلّ – أن يجعل رزق من أحبّني الكفاف، و يعطي من أبغضني المال و البنين.

يا أبا ذرّ، طوبى للزّاهدين في الدّنيا، الرّاغبين في الآخرة، الّذين اتّخذوا أرض الله بساطا، و ترابها فراشا، و ماءها طيّبا، و اتّخذوا الكتاب شعارا، و الدّعاء لله دثارا، و قرّضوا الدّنيا قرضا.

يا أبا ذرّ، إنّ حرث الآخرة العمل الصّالح، و حرث الدّنيا المال و البنون.

يا أبا ذرّ، إنّ ربّي – تبارك اسمه – أخبرني، فقال: و عزّتي و جلالي، ما أدرك العابدون درك البكاء عندي شيئا، و إنّي لأبني لهم في الرّفيق الأعلى قصرا لا يشاركهم فيه أحد.»

يتبع...

المصدر: «**الأمالي**»، **الشيخ الطوسي، ج ١، صص ٥٣٢.**

باب الصدق في الحياء من الله

اعلم: أنه لا بد للمريد– المحقق في إيمانه و المطالب لسلوك سبيل النجاة من معرفة ثلاثة أصول يعمل بها، فبذلك يقوي إيمانه و تقوم حقائقه و تثبت فروعه. هذه الاصول اولها الاخلاص، ثم الصبر ثم الصدق.

سنتحدث في هذا المقال حول في الحياء[١] من الله، عز و جل.

يروى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «**الحياء: من الإيمان.**»[٢]

و روي عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: «**الحياء خير كله.**»[٣]

و قال صلى الله عليه وآله: «**استحيوا من الله حق الحياء، من استحيا من الله حق الحياء، فليحفظ الرأس و ما حوى، و البطن و ما وعى، و ليذكر المقابر و البلى، و من أراد الآخرة ترك زينة الدنيا.**»[٤]

و قال النبي صلى الله عليه وآله: «**استح من الله كما تستحي من رجل صالح من قومك.**»[٥]

و قال رجل يا رسول الله: **ما نبدي من عوراتنا و ما نذر؟**؛ قال صلى الله عليه وآله: «**استر عورتك إلا من أهلك و ما ملكت يمينك.**»

قال: «**فأحدنا يكون خاليا.**»

قال صلى الله عليه وآله: «**فالله أحق أن يستحى منه.**»[٦]

قلت: فما الذي يهيج الحياء؟

قال: ثلاث خصال:

الأولى تفكيرك في دوام إحسان الله تعالى إليك مع تضييع الشكر منك، و مع دوام إساءتك و تفريطك.

و الثانية: أن تعلم أنك بعين الله، عز و جل؛ في منقلبك و مثواك

و الثالثة: ذكرك لوقوفك بين يدي الله، عز و جل، و مساءلته إياك عن الصغير و الكبير.

قلت: فما الذي يشيد الحياء و يقويه؟

قال: «الخوف لله، عز و جل، عند الهوى الخاطر الواقع في القلب! فيفزع القلب، و يستوحش عندما يعلم أن الله تعالى، يرى ما فيه فيثبت الحياء من الله، فإذا دام على ذلك زاد الحياء و قوي».

قلت: فالذي يولد الحياء ما هو؟

قال: الفزع من أن يكون الله تعالى، عنه معرضا و له ماقتا، و لفعله غير راض.

قلت: فما الغالب على قلب المستحي من ربه؟

قال: إجلال رؤية من يراه، فحينئذ يهاب الله، عز و جل، و يستحي منه.

قال **أبو سعيد:** سمعت بعض المريدين سأل بعض أهل المعرفة.

قال: **ما علامة هيبة الله في قلب العارف بالله؟**

قال: **إذا استوى عنده الأفعى و الذباب.**

قلت: **فبم يضعف الحياء؟**

قال: **بترك المحاسبة و ترك الورع.**

قلت: **فكيف أحوال المستحي في نفسه؟**

قال: طول الخشوع و دوام الإخبات، و تنكس الرأس، و انحصار الطرف، و قلة النظر إلى السماء، و كلال اللسان عن كثير من الكلام، و الفزع من التكشف في الخلاء، و ترك العبث و الضحك، و الحياء عند إتيان ما أباحه الله، فكيف بذكر عارض، مما نهى الله تعالى عنه؟

و الناس يتفاوتون في الحياء على قدر قرب الله تعالى، منهم و قربهم منه.

الهوامش:

١. الحياء: هو ما يمنعك عما يضرك، و سببه ملازمة من يستحيا منه كأهل العلم و الأدب، و ثمرته الأمن من المقت و العذاب و خفة الحساب، و هو ممدوح و مطلوب. (للتوسع انظر حديث القشيري عن الحياء في رسالته، صص ٢١٤– ٢١٨).

٢. أخرجه مسلم في «الصحيح»، الإيمان، ص ٥٩؛ و الترمذي، «السنن»، ٢٠٠٩، ح ٢٦١٥..

٣. أخرجه مسلم في «الصحيح»، الإيمان، ص ٦١؛ و أبو داود، «السنن»، ح ٤٧٩٦.

٤. أخرجه الترمذي، «السنن»، ح ٢٤٥٨؛ أحمد بن حنبل، «المسند»، ج ١، ص ٣٨٧.

٥. المتقي الهندي، «كنز العمال»، ح ٥٧٥٠؛ و ابن عساكر، «تهذيب تاريخ دمشق، ج ٧، ص ٦٦.

٦. ابن عبد البر، «التمهيد»، ج ٤، ص ٢٧٢؛ و الطبراني، «المعجم الكبير»، ج ١٩، ص ٤١٣.

المصدر: خراز، احمد بن عيسى، «الصدق أو الطريق السالمة»، بيروت، دارالكتب العلمية، الطبعة الاولى، ص ٤٤.

بنو العباس - القسم الثاني

محمدجواد مغنية

قامت الثورات ضد الامويين منذ اليوم الاول لحكمهم، و امتدت الى اليوم الاخير، و لكنها كانت في بدايتها ثورات ضيقة محدودة يقضي عليها الولاة في يوم او ايام، اما الثورة الكبرى التي عجزت امية عن مقاومتها و القضاء عليها فقد جاءت في عهد **مروان الحمار** آخر ملوك الامويين، حيث تمردت عليه القبائل و خرج الجيش و الشرطة عن طاعته، و تخلف الناس عن نصرته، و هان على كل انسان، و انفض انصاره من حوله، حتى ضاقت الدنيا في وجهه، و لم يجده بذل الاموال و الاغراء بالمناصب.

و كان يفر من الجيوش الزاحفة في اثره، و ينتقل من بلد الى بلد، و كلما وصل الى مكان لقيه اهله شر لقاء، قصد الموصل فشتمه سكانها، و اغلقوا ابواب مدينتهم في وجهه، ذهب الى قنسرين فوثب اهلها على جنده، فتركها الى حماة فاعتدوا عليه. رجع «الشام» فرد عنها، اتجه الى «فلسطين» فولوا وجوههم عنه، و هكذا تتبعه العباسيون، و هو يفر امامهم من بلد الى بلد حتى وصل الى قرية بوصير من اعمال «مصر»، فقتل بها في آخر سنة ١٣٢ هـ، و بقتله انتهت خلافة بني امية، «فقطع دابر الذين ظلموا و الحمد لله رب العالمين»[١].

خير من الف شهر

قال **المسعودي**:

كان جميع ملك بني امية، الى ان بويع ابو العباس السفاح، الف شهر كاملة، لا تزيد و لا تنقص، لانهم ملكوا تسعين سنة، واحد عشر شهرا، و ثلاثة عشر يوما. و جاء في تفسير «الرازي» عن **القاسم بن فضل عن الاسلام الحسن**عليه السلام: **ان رسول الله**صلى الله عليه وآله **رأى في منامه بني امية ينزون على منبره نزو القرود، فشق ذلك عليه، فأنزل الله تعالى: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ» الى قوله «خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ» يعني ملك بني امية،** قال **القاسم: فحسبنا ملك بني امية، فاذا هو الف شهر.**

العباسيون يستغلون الظرف:

كان العالم الاسلامي في التهاب عام، و سخط شامل ضد الامويين، و كان المسلمون متجهون بعقولهم و قلوبهم الى ابناء علي دون غيرهم، لامور:

١ - انهم اهل البيت عليهم السلام، و قد اختارهم الله لرسالته و وحيه، فبالأحرى ان يختارهم الناس لقيادتهم و تدبير شئونهم، بخاصة ان الثورة على الامويين قامت باسم الدين، و الخوف على شريعة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله، و ابناؤه هم الامناء على شريعته، و المحافظون على سنته، فاذا حكموا عملوا بسيرته من اقامة العدل، و احقاق الحق.

٢ - انهم اول من ثار على الامويين و استبدادهم، و اول من عبر عن رأي المظلومين، و طالبوا بحقوقهم، و اول من استشهد من اجلهم، و من دفع الغرم فله الغنم.

٣ - ان شيعة علي عليه السلام و ابناءه كانوا الحزب القوي المعارض الذي عمل في السر و الخفاء ضد الحكم الاموي، و بذل في هذا السبيل النفس و النفيس، و لاقى رجال الشيعة ما لاقاه الأئمة الاطهار عليهم السلام من التقتيل و التنكيل.

و يعزز هذه الاسباب ما قاله ابن الاثير من ان الناس كانوا يقولون للامويين بعد ان زال ملكهم: **الحمد لله الذي اتانا بأهل لبيت نبينا، و ان العباسيين كانوا يتذرعون بثأر الحسين و زيد و ولده يحيى!...**[٢]

لقد استغل بنو العباس سخط الرعية على بني امية، و معارضة الشيعة لحكمهم و تعلق الناس بالعلويين، و أظهروا ان غايتهم الاولى اسقاط الامويين، و اراحة الناس من ظلمهم، ثم يختارون من تتفق عليه الكلمة من آل بيت الرسول صلى الله عليه وآله، فالعباسيون لم يقدموا في بدء الامر اشخاصا منهم و لا من غيرهم، و انما قدموا المبدأ الذي يدافعون عنه، تماما كما فعلت **فرنسا و انكلترا** حين حاربت الاتراك، و زعمتا انهما يبتغيان تحرير البلاد العربية من الظلم، ثم تدعان البلاد لأهلها يقررون مصيرهم بأنفسهم،

حتى اذا زالت دولة الاتراك استبدت فرنسا بـ**سورية و لبنان**، و تحكمت انكلترا بـ**العراق و الاردن**، و قدمت **فلسطين** لاسرائيل، قال فلهوزن:

(كان العباسيون يعملون ما استطاعوا على ان يخفوا عن الناس انهم كانوا يريدون تنحية بني فاطمة، بل كانوا يظهرون انهم يعملون من اجل بني فاطمة، و ظهروا في خراسان و غيرها بدعوى انهم يريدون ان يثأروا لشهداء ابناء فاطمة عليها السلام... و كان لا بد لهم ان يتخذوا حزب الشيعة عمادا لهم ازاء بني فاطمة، فاما ان يعتقد الشيعة ما يشاءون، و ان تكون سيرتهم في الحياة كما يحبون، فكان العباسيون يعتبرون ذلك مسألة يمكن حلها فيما بعد.[٣]

ارتفع العباسيون باسم العلويين، و على اكتاف شيعتهم، ثم تنكروا لهم، و اشتدوا عليهم قسوة و عنفا، و قبل ان ندخل في التفاصيل نمهد بكلمة تظهر حقيقة بني العباس بوجه عام.

من هم بنو العباس؟

لا يفترق العباسيون عن بني امية في شيء، لا في الظلم و القسوة، و لا في الفسوق و الفجور، و لا في الاستهتار و الزندقة، فالغاية واحدة عند الجميع، و هي الانتفاع و الاستغلال، فالمبدأ واحد، و هو اللامبالاة بالدين؛ فالكل ركب متون الاهواء، و سلك طريق الضلال، من قطع الرءوس، و نصب المشانق، و هدم الدور على الاحياء، و ما ابراهيم و اخوه **السفاح** الا كـ**معاوية**، و ما **المنصور** و الرشيد الا كـ**هشام**، و ما المتوكل الا **يزيد بن م**عاوية، فلقد عرفنا حاكمين يتخذون من القتل وسيلة لتوطيد سلطانهم، او لحفظ الأمن بزعمهم، اما من ذكرناه من الامويين، و سنذكره من العباسيين فقد كان يقتل لا لسبب الا بدافع من الغدر و الاسراف في القتل.

حين ضاق الناس ذرعا بالامويين، و بلغ الاستياء ذروته من سياستهم ارسل ابراهيم الامام[٤] - اخو السفاح - **ابا مسلم الخراساني** الى «خراسان»، و قال له فيما قال: **احفظ وصيتي: انظر هذا الحي من اليمن، فاكرمهم و اسكن بين اظهرهم، فان الله لا يتم هذا الامر الا بهم، و انهم ربيعة في امرهم، و اما مضر فانهم العدو القريب الدار، و اقتل من شككت فيه، و ان استطعت ان لا تدع بخراسان من يتكلم بالعربية فافعل، و ايما غلام بلغ خمسة اشبار تتهمه فاقتله!..**

و بعد ان نقل **المقريزي** هذا الكلام قال معقبا: (**فأين اعزك هذه الوصية من وصايا الخلفاء الراشدين لعماله.**[٥]

و تالله لو نوجه ابو مسلم الى ارض الحرب، ليغزو اهل الشرك بالله، لما جاز ان يوصي بهذا، فكيف و انما توجه الى دار السّلام، و قتال ابناء المهاجرين و الانصار، و غيرهم من العرب لينتزع من ايديهم ما فتحه آباؤهم من ارض الشرك، ليتخذوا مال الله دولا، و عبيده خولا؟! و قد عمل ابو مسلم بوصية ابراهيم.

و أي فرق بين قول ابراهيم العباسي: (**و اقتل من شككت فيه**) و قول معاوية الاموي حين كتب الى عماله: (**انظروا من اتهمتموه بموالاة اهل البيت فنكلوا به و اهدموا داره**)؟!.. و ارسل السفاح **محمد بن صول** واليا على «الموصل»، فامتنع اهلها عن طاعته؛ و سألوا السفاح ان يولي عليهم غيره، فأرسل اليهم اخاه يحيى في اثني عشر ألف مقاتل، فخافه اهل الموصل، فنادى بالامان (و لما أمنوا على انفسهم قتلهم قتلا ذريعا، و اسرف في التقتيل حتى غاصت الارجل في الدماء، فلما كان الليل سمع يحيى صراخ النساء اللاتي قتل رجالهن، فأمر بقتل النساء و الاطفال. و استمر التقتيل ثلاثة ايام!...[٦]

و اذا اعطفنا هذه الحادثة على وصية ابراهيم علمنا ان بني امية لم يسبقوا العباسيين في الظلم و الاستبداد، و لو كنا ممن يؤمن بالتناسخ لقلنا ان روح معاوية تقمصت في ابراهيم، و روح الحجاج في يحيى.

السفاح

اسمه **عبد الله**، و كنيته **ابو العباس**، و لقبه السفاح، و هو اول من تولى الحكم من العباسيين، بويع سنة اثنتين و ثلاثين و مائة، و مات سنة ست و ثلاثين و مائة، فكانت ايامه اربع سنين و اشهرا، قضاها في تتبع الامويين و القضاء عليهم، و على اتباعهم، و من كان قد اتصل بهم من قريب او بعيد، فكان

السفاح لا يسكن و لا يهدأ ما علم ان في اموي عرق ينبض، و فوق ذلك لم يكن لمن يشك ولاءه، او يخشى تغييره في المستقبل إلا حد السيف، كما فعل بأبي سلمة الخلال، و كما صنع عامله يحيى في الموصل، و عمه **داود** في «الحجاز»، و عمه **سليمان في البصرة**، و ابو مسلم في خراسان، فقد انكر في بخارى **شريك ابن شيخ المهري** على ابي مسلم قسوته، و طالب بالحق و العدل، و قال: **لم نبايع بني العباس على سفك الدماء و قتل الأنفس، فقتله ابو مسلم، و نكل برجاله، و كانوا ثلاثين ألفا.**

اشتهر السفاح بهذا اللقب، لكثرة ما سفك الدماء، فمما رواه المؤرخون انه استدرج ثمانين من بني امية، و امرهم ان يحضروا لأخذ الجوائز و العطايا، و تناول الطعام، فلما حضروا امر بقتلهم، ثم بسط عليهم فراشا، و جلس فوقه يأكل، و هم يضطربون تحته و يصرخون، فلما فرغ قال: **ما أكلت أكلة قط أهنأ و لا أطيب لنفسي منها.** و اذا كان الامويون مستحقون للقتل فان دعوتهم الى وليمة، ثم قتلهم و الاكل على جثثهم تجعل القاتل شريكا في الجرائم و الرذائل التي اتصف بها الامويون.

و كان كثير من الناس، و بخاصة الشعراء، يغرون العباسيين ببني امية، و يحثونهم على الفتك، و كانوا يلتمسون ادنى المناسبات ليذكروا الاسرة المالكية بشر ما فعله الامويون الا ابناء علي فقد كانوا ينهون العباسيين عن الاسراف بقتل الامويين، و يوجدون الاعذار لمن بقي منهم مع ان اكثر مظالم الامويين كانت تقع على ابناء علي، و لكن ابناء المؤمنين اصحاب عقيدة و مبدأ لا اصحاب شهوات و اغراض، انهم اولاد الذي عفا عن ابن العاص في صفين، و عن مروان يوم تجمل، و سقى معاوية الماء بعد ان منعه منه، و قال: اذا قدرت فاجعل العفو شكرا على المقدرة، و لا بدع انهم اهل بيت العدل و التقوى. قال ابن الاثير: **لما اراد داود قتل من كان من الامويين في مكة»و المدينة، قال له عبد الله بن الحسن بن الحسن: يا اخي اذا قتلت هؤلاء، فمن تباهي بالملك؟! اما يكفيك ان يروك غاديا رائحا فيما يذلهم و يسوءهم؟! فلم يقبل منه، و قتلهم.**[٧] و كان من المتوقع ان يحابي السفاح ابناء علي و شيعتهم، و يقربهم و يفضلهم على الناس اجمعين، لانهم كانوا و العباسيين حلفاء و حزبا واحدا ضد الامويين، و كان العباسيون يموهون على الناس بأنهم يدعون الى ابناء علي، لانهم اقرب الى القلوب من العباسيين و أعظم شأنا و منزلة عند المسلمين، و لكن بني العباس غيروا سياستهم بعد ان اصبحت السيادة في ايديهم فتنكروا للعلويين و شيعتهم، و أوعزوا الى الشعراء ان يعرضوا بأولاد علي، و ينفوا عنهم حق الخلافة، قال **محمد احمد براق: ان اصل الدعوة كان لآل علي، لان اهل خراسان كان هواهم في آل علي لا آل العباس، لذلك كان السفاح، و من جاء بعده مفتحة عيونهم لأهل خراسان، حتى لا يتفشى فيهم التشيع لآل علي عليه السلام... و كانوا يستجلبون الشعراء ليمدحوهم، فيقدمون لهم الجوائز، و كان الشعراء يعرضون بابناء علي عليه السلام و ينفون عنهم حق الخلافة، لانهم ينتسبون الى النبي صلى الله عليه وآله عن طريق ابنته فاطمة عليها السلام، اما بنو العباس فانهم ابناء عمومة.»**[٨]

هذا، الى ان العباسيين تركوا مذهب اهل البيت عليهم السلام، و اعتنقوا مذهب التسنن، خوفا ان ينتشر التشيع، و ينتقل الحكم الى العلويين، و بهذا سار العباسيون على نفس الطريق الذي سار فيه الامويون سياسة و عقيدة و عملا. و الخلاصة ان السفاح لم يقتل احدا من الشيعة، و لم ينكل بهم علنا كما فعل من جاء بعده من العباسيين، لأنه اولا كان مشغولا بخصومه الامويين و استئصالهم، و ثانيا كان و الشيعة بالأمس القريب يدا واحدة ضد بني امية، و قد أدوا مهمتهم على أكمل الوجوه و ساعدوا على وصوله الى الحكم، و ثالثا كان يقيم في الكوفة، و اتخذها عاصمة له، و اهلها من شيعة علي، و لم يكن له من القوة ما يقاومهم بها.

و مهما يكن، فان في هذه الفترة من أخريات الامويين، و اوليات العباسيين كانت فرصة مواتية للامام محمد الباقر، و ولده الامام جعفر الصادق الى بث علوم اهل البيت، و نشرها على الناس، و كان من اثرها هذه الاحاديث التي اغنت المكتبة العربية في شتى العلوم بخاصة التشريع و الفلسفة و التفسير و الاخلاق.

الهوامش:

١. سورة الانعام، الآية ٤٥
٢. ابن اثير، «الكامل في التاريخ»، ج ٤، صص ٣٣٠ و٣٣٢.
٣. فلهوزن، يوليوس، «تاريخ الدول العربية»، ص ٤٨٩.
٤. قبض مروان الحمار على ابراهيم، و مات في حبسه مقتولا او مسموما.
٥. مقريزي، تقى الدين، «النزاع و التخاصم فى ما بين بنى امية و بنى هاشم».
٦. ابن اثير، «الكامل في التاريخ»، ١٣٥٧هـ.، ج ٤، ص ٣٤٠.
٧. المصدر السابق، ج ١، ص ٣٤.
٨. محمد احمد براق، «ابو العباس السفاح»، ص ٤٨.

المصدر: مغنية، محمدجواد، «الشيعة والحاكمون»، بيروت، دار الجواد، الطبعة الالثماونية، ١٤٢١هـ، صص ١٣٣-١٤٠.

الساقي على الحوض

روى **الخوارزمي** بإسناده عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«أنا واردكم على الحوض و أنت يا عليّ الساقي، و الحسن الزائد، و الحسين الأمر، و عليّ بن الحسين الفارط، و محمّد بن عليّ الناشر، و جعفر بن محمّد السائق، و موسى بن جعفر محصى المحبّين و المبغضين و قامع المنافقين، و عليّ بن موسى مزين المؤمنين، و محمّد بن علي منزل أهل الجنّة درجاتهم، و عليّ بن محمّد خطيب شيعته و مزوّجهم الحور العين، و الحسن بن عليّ سراج أهل الجنّة يستضيئون به، و المهدى شفيعهم يوم القيامة حيث لا يأذن الله إلّا لمن يشاء و يرضى.»

المصدر: عبدالرّحيم مبارك، «خيرالبريه و الألطاف الإلهيه»، دارالعلوم، بيروت، الطبعه الاولى، ١٤٢٣هـ.ق.، ص ٤٢٧؛ الخوارزمي، «مقتل الحسين عليه السلام»، ج ١، صص ٩٤-٩٥.